

إبراهيم عبد المجيد



حكايات ساعة الإنفطار

بيت الياسمين
للنشر والتوزيع

حكايات ساعة الإفطار

٣٠ حكاية

إبراهيم عبد المجيد



الإشراف العام: زياد إبراهيم	اسم الكتاب: حكايات ساعة الإفطار
المراسلات: ٥٣ ش خيوت - ميدان لاظوغلى - عابدين القاهرة - جمهورية مصر العربية.	اسم المؤلف: إبراهيم عبد المجيد
البريد الإلكتروني: Baitelyasmin@yahoo.com Ziadibrahim_2008@yahoo.com	الناشر: بيت الياسمين للنشر والتوزيع
تليفون:- (+202) 27949885 (+202) 0111 00 94 62 5	الغلاف للفنانة: ولاء محمود
	رقم الإيداع: ٢٠١٢/ ٩٩٦٠
	الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٦٤٠٢-٣٠-٠
	حقوق الطبع محفوظة الطبعة الأولى
	لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تجزئته في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق.

حكايات ساعة الإفطار

٣٠. حكاية

رسائل من الجنة

جلس الأب في الصلاة يقرأ القرآن في صمت. وضلع أمامه حاملا من الخشب فوقه المصحف. الحامل من خشب الورد. معبى بالصدف الذي يشكل رسومات دقيقة لطيور تسبح في الفضاء ورثه من العصور الوسطى أبا عن جد، وكان صانعه قد ضمخه بعطر الكافور الذي لم يتلاش مع الزمن. كانت هناك نصف ساعة باقية علي مدفع الإفطار وفي المطبخ كانت الأم والإبنة تجهزان الطعام والشراب الذي سينقلنه إلي الصلاة بعد قليل. كان في المطبخ راديو صغير ينساب منه صوت الشيخ محمد رفعت يملأ الفضاء بالرضا. لكن الإبنة رأت دمعا يتسلل من عيني الأم التي راحت تمسحه براحة يدها. لم تتحمل الإبنة وهتفت:

- ماما.

ثم انفجرت باكية وانهارت علي مقعد صغير. تماسكت الأم واقتربت من الإبنة ووضعت رأسها علي صدرها وراحت تمسح عليها براحتها وتقول:

- خلاص يارقية. حقلك عليا. ماتعيطيش يا حبيبي. أخوكي في أحسن مكان عند ربنا.

لكن الإبنة انفجرت في البكاء أكثر.

- بلاش بابا يسمعك يارقية. بابا مش مستحمل يا حبيبي. يعلم الله حالته إيه دلوقتي في أول يوم رمضان وأخوكي مش معانا. رفعت الإبنة رأسها وقالت باكية:

- له كده ياماما. أخويا كان جميل أوي.
- حكمة ربنا يارقية. ربنا سبحانه وتعالى هو اللي ييختار. اختار الشباب الحلوين كلهم. فاكرة صورهم. كلهم بيضحكوا مبسوطين. دول رايحين اللجنة يارقية.
- لكن انتي مش قادرة تنسي ياماما. وفي المدرسة بتكتبي كل يوم علي السبورة تاريخ اليوم ٢٨ يناير ٢٠١١. «مس هبة» زميلتك قالت لي كده وكانت بتعيط علشانك.
- وقبل أن ترد الأم سمعا الأب يهتف من الخارج بصوت عال:
- يارقية. يا أم رقية.
- هتفت الأم في هلع:
- باباكي.
- وجرت خارجة وخلفها رقية، فوجدتا الأب جالسا في مكانه زائغ النظرات. المصحف أمامه فوق الحامل مفتوح، وفوقه مظروف أبيض شاقق البياض يشير إليه في رعب.
- نظرا إلي المظروف في دهشة فقال:
- جواب من مصطفى.
- تبادلت الام والإبنة النظر في قلق علي الأب الذي قال وهو يشير إلي النافذة النصف مفتوحة في ذهول:
- دخل من هنا وحط لي الجواب. طائر عمري ما شفت زيه. دخل رفررف ملا الصالة بريجة المسك وحط لي الجواب وطار. شامين الريجة؟
- قالت الأم بعد أن جلست جواره تبكي:

- خاففة عليك يا أبو مصطفى. ليه بتعمل في نفسك كده بس؟ إبننا عند ربنا. شهيد يا أبو مصطفى مع الصديقين والأنبياء.

لكن رقية كانت أمسكت بالمظروف الذي بدأ ينفتح وحده بين يديها، فوضعت مكانه علي الفور وهي ترتعش، والأم والأب ينظران إليه إذ راحت تخرج منه زهور بيضاء جميلة تطير في الصالة، فتراجعت رقية وجلست جوار أبيها الذي راح يحيطها وأما بذراعيه ويتمتم. بسم الله الرحمن الرحيم.. بسم الله الرحمن الرحيم. والزهور البيضاء تتوالي في الخروج تملأ الصالة وتسبح في فضائها وتنشر رائحة المسك العتيق، وصار بعضها يطير الي النافذة نصف المغلقة تتزاحم للخروج وتغرد كعصافير الفجر. هتف الاب «افتحي الشباك يارقية علي الآخر». أسرع رقية وسط الزهور وفتحت النافذة، فتدافعت الزهور في الخروج إلي الفضاء تملأه وينتشر عطرها في الشوارع، والأب والأم متجمدان أمام المظروف الذي لا ينقطع خروج الزهور منه، ورقية بدورها عادت مرعوبة من عند النافذة، وجلست من جديد جوار أبيها لا تصدق ما يجري. في الخارج. انفتحت نوافذ كل البيوت التي انتشر فيها العطر فجأة ولم يعرف أحد مصدره حتي زاد، فخرج الناس جميعا يرون الزهور تسبح أمامهم ويرونها من بعيد تخرج من نافذة أبو مصطفى. هكذا صار كل من تأخر في الخروج إلي النافذة أو الشرفة يخرج مسرعا، وكل من كان مسترخيا يخرج، وكل من كان أمام التليفزيون يخرج، ليملاً صدره بهذه الرائحة القادمة من الجنة. وزادت الزهور في الفضاء بشكل كبير، وراحت تدخل من النوافذ والشرفات الي البيوت تنشر عطرها وتخرج. ولما رأي الناس مصدرها الذي لا ينقطع خروجها منه وهو بيت

ابي الشهيد، هتفوا معا «الله اكبر.. الله اكبر» و الزهور راحت بتبعد تاركة في الفضاء والبيوت رائحتها. بعد قليل إنطلق مدفع الإفطار لكن كان الناس جميعا في حالة من الشبع، وأحسوا أنهم ارتووا بالماء الزلال، وجلسوا جميعا في بيوتهم صامتين ينظرون إلي بعضهم في دهشة، ودموع الكثيرين منهم تطل علي بعضها لا تصدق ما جري.

في بيت أبي مصطفى انقطع خروج الزهور من المظروف. وجلس الأب والأم والإبنة ينظرون إلي بعضهم في فرح عميق. انحنى الاب علي المظروف يمسكه ويقبله، وأعطاه للأم التي قبلته بدورها وأعطته للإبنة رقية التي قبلته ودموعها تترقرق في عينيها. بعد قليل أشعل الناس تليفزيوناتهم فأروها قد غيرت براعمها كلها ولا كلام لها إلا عن رائحة المسك العتيق التي ملأت كل البلاد. وفي الصباح كان حديث الصحف عن هذه الظاهرة الغريبة. عن الزهور التي خرجت من بيوت عديدة في كل وادي النيل والصحراء لتنشر رائحة المسك العتيق. صار معروفا أنها كلها خرجت من بيوت الشهداء، لكن كتبت إحدي الصحف أن رائحة الجنة رسالة إلي الأمة التي تقاعست في الثأر للشهداء ربما سوف تتبعها عاصفة من جحيم. في الحقيقة كان الناس يدركون ذلك. وراحوا يمشون في البلاد صامتين.

يا عالم الأسرار

يملك كشك سجاير علي ترعة المحمودية، في المنطقة الممتدة بين حي كرموز وحي راغب. كان أغلب سكانها زمان من بائعي الترمس. اليوم ظهرت فيها العمارات العالية واشتد فيها الزحام. حين كانت شبه خالية كان الجميع يعرفون برعي، لكن كل من عرفه مات أو رحل عن المنطقة. وبرعي لم يفكر أبدا أن ينتقل بالكشك إلي منطقة أخرى. لا يزال لا يبيع فيه إلا السجائر والبسكويت. في البداية، في سبعينات القرن الماضي، كان يبيع فيه القصب. عيدانا أو قطعاً للأولاد والكبار. لم يعد القصب في حلاوة قصب زمان. وتطور أولاد الأحياء الشعبية فلم يعودوا يمسون القصب في الطرقات ولا يلعبون به. برعي الآن في السبعين. صار له ولد وبنت وأحفاد أيضاً، لكنه لا يستمع إلي مطلبهم أن يرتاح تاركاً العمل. حين يأتي ابنه أو بنته لتقف معه لا يحتج، لكنه لا يوافقهما علي تنويع بضاعته. قال لهم بشكل واضح «زمان كنت أقف لأبيع وأكسب وأربيكما. الآن أقف لأنه لا يمكن أن أمضي مابقي من عمري جالسا في البيت. كما إنني انتظر إشارة من ربنا». استقر الولد والبنت علي أن أباهما فقد كثيراً من عقله، وليس أمامهما غير الانصياع له وتركه علي ما يريد.

لم يكن برعي يكذب. ذلك أنه يضع في الكشك «ريكورد» يسمع منه كل عصر قصيدة رباعيات الخيام. يفعل ذلك منذ أربعين سنة. والناس القدامي علي قلتهم يعرفون غرام برعي برباعيات الخيام دون أغاني أم

كلثوم كلها. كانوا يتعجبون منه هو الذي لا يعرف القراءة ولا الكتابة. يقولون في عجب من زمان برعي لا يسمع إلا رباعيات الخيام. وكان هو قد سمعها أول مرة حين اشترى الراديو. ارتاح لها رغم أنه لا يفهم منها إلا القليل. انتظرها في اليوم الثاني في الإذاعة فلم تأت. وهكذا لعدة أيام حتي عادت. تاه معها وسبح في الفضاء. ولما اختفت مرة أخرى اقترح عليه عبد الحكيم الوافد الجديد إلى المنطقة، أن يشتري هذا الريكورد، وشريط تسجيل فيه رباعيات الخيام، ويسمعها في أي وقت مادام يحبها كل هذا الحب. وهكذا لم تعد تفارقه حتي في رمضان، إذ ينساب القرآن الكريم قبل الإفطار من كل البيوت، لكنه وحده يسمع رباعيات الخيام. وعبد الحكيم أدمنها معه.

ذات مرة. قبل ان ينتهي رمضان ياسبوع قال لعبد الحكيم أن يساعده ويكتب له خطابا لأهله في الصعيد. كان المعروف عن عبد الحكيم إنه يعمل في شركة الغزل والنسيج بكرموز. ولم يكن أحد يعرف إنه ترك قريته حزينا لانقلاب المعديّة وغرق زوجته التي لم يمض علي زواجهما شهر.

قال لعبد الحكيم:

– ايه رايك تفطر معايا. أنت وحيد وأنا وحيد. وتكتب لي الخطاب قبل الإفطار.

وافق عبد الحكيم فقال له:

– وياريت تفطر معايا كل يوم بعد كده.

جلس عبد الحكيم أمام الكشك. كان الجو شتاء. والناس دخلت بيوتها قبل الإفطار. ولا أولاد يلعبون في الشارع. وضع له برعي

طرايزة صغيرة وفوقها المسجل الذي يعمل بالحجارة إذا ابتعد به برعي عن الكشك، ويصله بالكهرباء إذا كان داخله. ووضع شريط قصيدة رباعيات الخيام، ثم قدم أوراقا وقلما لعبد الحكيم، وجلس يملئ عليه. فكر برعي كيف يبدأ وكان عبد الحكيم يستمع للأغنية. أملاه برعي:

«والدي العزيز. والدي الحبيبة. إخواتي الطيبين. زوجتي. ولكن عبد الحكيم الذي حملته القصيدة بعيدا، كتب سمعت صوتا هاتفا في السحر.. نادي من الغيب غفاة البشر. وقال برعي خلاص هانت قربت أحوش الفلوس اللي ح أجر بيها الشقة واجيب مراتي معايا. وكتب عبد الحكيم: هبوا املاؤا كأس المنى قبل أن تملأ كف العمر يد القدر. يقول برعي كان نفسي أكون معاكم في الأيام المفترجة دي، لكن أنا باخاف علي القرش علشان افتح بيت في اسكندرية، وعبد الحكيم يكتب غد بظهر الغيب واليوم لي وكم يخيب الظن بالمقبل. انا دلوقت عندي كشك بأبيع فيه وبطلت شغل في الخرسانة، كتافي وجعتني يابوي وأنا مش حمل بمدة. وعبد الحكيم يكتب لبست ثوب العيش لم استشر وحررت فيه بين شتي الفكر. انت عارف يابوي أنا من يومي صحتي علي قدي، علشان كده ربنا وقف لي ولاد الحلال ساعدوني آخذ الكشك ده من المحافظة وعبد الحكيم يكتب فما أطال النوم عمرا ولا قصر في الأعوام طول السهر. برعي يقول ساعدني موظف كبير في المحافظة طلب بس أديله كل شهر خمسة جنيه لمدة سنة. والحمد لله قادر أديله. وعبد الحكيم يكتب فكمكم توالي الليل بعد النهار. وطال بالأنجم هذا المدار، فامش الهوينا إن هذا الثري من أعين ساحرة الإحورار. صار عبد الحكيم

يسبح مع الأغنية وفي ملكوتها، فلم يعد يسمع ما يقوله برعي. صار يكتب الأغنية وبرعي يلاحظه وهو يكتب بسرعة حتي وهو متوقف عن الكلام ويقول في نفسه يمكن دي طريقته أنا أصلا ما اعرفش أكتب. لكن برعي وهو يقول أن يسامحه أبوه لأنه لم يرسل لهم نقودا حتي الآن تساعد في شراء الدواء لأمه المريضة، انفتحت عيناه للدموع بينما كان عبد الحكيم يبكي وهو يكتب. يامن يحار الفهم في قدرتك. وتطلب النفس حي طاعتك. أسكرني الإثم ولكنني صحت بالآمال في رحمتك. إن لم أكن اخلصت في طاعتك. فإنني أطمع في رحمتك. وإنما يشفع لي أنني قد عشت لا اشرك في وحدتك. حتي انتهت الأغنية وبرعي صامت ينظر لعبد الحكيم الذي يكتب ياعالم الاسرار علم اليقين. يا كاشف الدر عن البائسين. يا قابل الأعذار. عدنا الي ظلك فاقبل توبة التائبين. انتهى عبد الحكيم فقال برعي:

— حقك عليا خيلتك اتأثرت باللي بأقوله وبكيت.

مسح عبد الحكيم دموعه بمنديله القماش وقال:

— تزعل مني لو قلت لك انا ما كتبش ولا كلمة من اللي انت قلته.

قال برعي حائرا:

— يعني ايه؟

— كتبت الأغنية. وعازر أبعثها لواحد كلنا بنحبه. عازره يحبنا ويزيح عننا كل شر.

إرتبك برعي جدا فواصل عبد الحكيم:

— عازر أبعثها لربنا.

نظر إليه برعي مندهشا مأخوذا ثم قال:

- وتوصل؟

- إن شاء الله.

قال ذلك عبد الحكيم وكتب علي المظروف «إلى الله في السماء»

ودق مدفع الإفطار فراح برعي يضع علي الطرابيزة الصغيرة طبق الفول الذي اشتراه من قبل والبصل وعدة أرغفة وراحا يأكلان. قال عبد الحكيم:

- بكرة الصبح قبل ما تفتح الكشك تحط الجواب في البوسطة. وإن شاء الله حيجيلنا رد.

مائدة الرحمن

تعود مرسى أن يتناول إفطاره في موائد الرحمن. حين انتشرت هذه الظاهرة في سبعينات القرن الماضي كان صغيرا. كان أبوه يأخذه هو وأخيه وأمه الى مائدة بعيدة من بيتهم الكائن في دير الملاك. يختار الأب مائدة قريبة من قصر القبة حتي لا يراهم صدفة أحد من الجيران. كان مرسى يسمع أمه تقول لأبيه.

- ياخويا ليه مشحططنا كده بس ما كل جيرانا ييفطروا في الموائد زينا.

وكان أبوه يضحك ويقول:

- حقا. دايمن حرامي يدخل ساعة الفطار يقشقش البيوت كلها. فترد الأم:

- وتفتكر يعني الحرامية مش عارفين. عارفين بس كمان عارفين إن البيوت فاضية مافيهاش حاجة تنسرق. ويضحكون جميعا.

مرت السنون ومرسى يتمني أن لا يكون يوما من زبائن موائد الرحمن. تخرج من الجامعة وصار في شهر رمضان يرفض أن يذهب مع أبيه أو أمه إلي أي مائدة. لكنه لم يجد عملا يجعله يساعد أسرته في الحياة ويغنيهم عن ذلك. وحين وجد عملا وجده في مدينة الاسكندرية. بالصدفة كان انتقاله للعمل إليها قبل رمضاب بأيام. وجد له مسكنا مع عدد من زملائه الأغراب في منطقة القباري حيث عمله في إحدي شركات النقل

هناك. كان قد تخرج من كلية التجارة. ولم يجد عملا في القاهرة في الحكومة أو القطاع العام. كان كل عمل يعرض عليه لا يزيد عن عامل في محطة بترين ومرتبته من التيبس، البقشيش الذي يحصل عليه، أو جرسونا في مقهي وكذلك أيضا مرتبه. كان يعرف أن هناك من زملائه من وجد عملا في بنك أو وزارة أو مصنع، لكنه أيضا كان يعرف أن ذلك لن يتوفر له، فلا واسطة ولا محسوبة يمكن أن تفيده، ولا رشوة يمكن أن تدفعها عائلة تقضي رمضان علي موائد الرحمن.

حين وجد شركة تعطيه راتبا ثابتا وافق علي الفور رغم انها في الإسكندرية. شجعه أبوه قائلا:

- كويس خالص كمان أنت اسمك مرسي يعني اسكندراي. وإن شاء الله في الصيف نصيف عندك مرة قبل مانحوت.

أما أمه فقد خافت عليه جدا من بنات اسكندرية، وبالذات بنات بحري. قالت له يابني انت شفتهم في الأفلام شكلهم إيه استغفر الله العظيم. دا أسهل حاجة عندهم المايوه. وكان يضحك ويقول لها يا أمي دا كان زمان. الدنيا اتغيرت وخلاص ما فيش فرق بين بنات بحري وقبلي. كلهم الحمد لله يا بالحجاب يا بالنقاب. وفي نفسه كان يتمني أن يأتي الصيف ليري شواطئ هذه المدينة التي لم يزورها أبدا، ويرى النساء علي الشواطئ بالمايوهات كما تقول أمه، وإن كان يعرف أن ذلك لن يحدث، لكنه ظل علي أمل حتي إنه سأل زميلا له عن ذلك فانطلق يضحك ساخرا واعتبره أهبل أو مسكين. لكن زميله قال له أيضا:

- دا موجود لكن في الساحل الشمالي والشواطئ الخاصة في العجمي مثلا.

سأله بدوره:

- يعني إيه خاصة؟

قال له:

- يعني تدفع مرتبك علشان تدخل وتقضي طول الشهر جعان - ثم سكت لحظة وقال - خيلنا في المهم أنت حتعمل إيه في رمضان؟

ارتبك وقال:

- يعني إيه؟

قال زميله:

- يعني حتفطر فين؟ ليك قرايب هنا تفطر معاهم مثلاً؟ إنت عارف رمضان يحب اللمة.

- لا ماعرفش حد. نفطر مع بعض.

ضحك زميله وقال:

- يبقى انت زميل بجد. حتيجي معايا موائد الرحمن.

أبدي له امتعاضه فقال زميله:

- إسكندرية غير القاهرة. هنا كل حاجة نظيفة. وبعدين قرفان ليه

كده؟

لم يشأ أن يقول له أنه من غير المعقول أن يمضي عمره في موائد الرحمن. سكت وترك نفسه لزميله يأخذه إلي الموائد. في أول مائدة وكانت في بحري قرية من جامع سيدي المرسي أبو العباس كانت بالفعل نظيفة. الطرايزات طويلة فوقها مفارش بيضاء نظيفة، والأطباق ليست صفيح بل زجاج لامع نظيف، ودوارق الماء زجاج أيضاً والأكواب لأمعة والملاعق مصقولة. لا شئ قديم أو قذر هنا. والطعام يطهي بعيداً عنهم

داخل المحل الذي يقيم المائدة، والذي ينقل الطعام فتيات صغيرات جميلات ونظيفات، وهواء البحر يطل عليهم، وصوت الموج يهدد أعصابهم، ولا ضجيج في الشارع مثل القاهرة. وكلما اقترب انطلاق مدفع الإفطار زاد الهدوء وصوت الشيخ القادم من جامع أبو العباس المرسي جميل يبعث علي الطمأنينة. ما أجمل الاسكندرية. لن يعود إلي القاهرة أبدا.

إنطلق مدفع الإفطار وارتفع صوت المؤذن من جامع سيدي المرسي، فترك المائدة التي صارت عامرة بالأكل والشرب، ووقف يصلي علي سجادة طويلة فرشها صاحب المائدة إلي جوارها علي الأرض. حين رأي هذه السجادة لم يسأل أحدا عن معني وجودها، وقال في نفسه أكيد هي للصلاة. والحقيقة أن صاحب المائدة وضعها لتكون مثل الحدود حول الجالسين، فإذا مرت سيارة لا تقترب منهم، كما أنها تعطي المكان جمالا إضافيا. لم يكن من الصعب أن يولي وجهه ناحية القبلة. فجامع المرسي أمامه وهذا بابه، كما أن البحر في الشمال خلفه. ولّي وجهه الي الجنوب مائلا إلي الشرق قليلا، ونظر حوله فلم يجد أحدا يقف يصلي معه. رأي زميله يبتسم وهو يشرب العرقسوس. قال لابد أن أحدا سيقف يصلي معه لكن لم يقف أحد. لم يكن ممكنا أن يتراجع. الله اكبر الله اكبر وبدأ الصلاة ولا أحد يتقدم ليصلي معه. لم يكن أمامه إلا الاستمرار في الصلاة. في لحظة فكر أن ينهي صلاته بسرعة، لكنه استغفر الله وراح يصلي علي مهل كما ينبغي. ما إن انتهى حتي رأي الجالسين علي المائدة ينصرفون. لم يكن قد بقي فوقها إلا بقايا طعام متفرقة. نظر إليه زميله وضحك قائلا:

- بعد كده ابقى صلي بعد الفطار. إنت عمرك مافطرت في مائدة
رحمن؟
- سكت. كان الجوع يقرصه في بطنه بشكل كبير، فمد يده الي دورق
به عَنَاب وشرب منه ثم قال:
- الحمد لله. والله عمري ما شبت زي النهاردة.
- لكنه في نفسه قرر أن لا ينسي هذا الدرس في الأيام القادمة.

مائدة من هواء

أمسكت بورقة من شجرة كافور ودعكتها في يدها. شتمتها وانتعشت.
هل كان ما تراه الآن موجودا حين جاءت من هذا الطريق منذ ساعتين.
إذا كان ذلك فكيف لم تره. هل يكون وقت طويل قد مضى بما
يكفي للأرض أن تنفجر منها ترعة كهذه تنمو علي جانبيها الحشائش
والأشجار؟

لابد أن تسرع بالعودة قبل أن ينطلق مدفع الافطار. هكذا قال لها
أبوها. لا تستطيع أختها الصغيرة التي لم تبلغ السابعة بعد أن تحميها
في هذا الفراغ. ولا تستطيع هي التي في الثانية عشر أن تحمي أختها.
ربما لهذا يبدو أبوها حزينا لانه لم ينبج الولد بعد. لكن أختها الصغري
توقفت وقالت:

- تعبت -

جلستا تحت شجرة كثيفة الأوراق. ورأت الكبرى الشمس تبتعد عن
الدنيا وطرف السماء البعيد يلتهب عند الأفق، وقالت الصغري:

- حنرجع نقول إيه لبابا وماما؟!

لم ترد الكبرى التي كانت تري علي الضفة الأخرى من الترعة بيوتا
تتنصب فجأة أمامها، لكنها كلها موصدة الأبواب ولا صوت يصدر
عنها. قالت لأختها الصغري:

- شايقة اللي انا شايقاه؟

- أنا مش شايقة حاجة غير الترعة والشجر.

- فيه بيوت قدامك أهه بس مقفولة.
- انتي جعانة زبي وبتحلمي. مافيش حاجة.
- كمان الترعة فيها بط ووز.
- انتي ليه جبتينا من السكة دي؟
- ماعرفش غيرها. بابا بياخدني معاه لما يزور عمي. بيقول أقرب.
- أنا سمعت مرات عمي بتكلم عمي في الأوضة اللي جوة.
- أنا كمان سمعتها. ليه قالت مش موجود؟ يعني علشان بابا بعتنا
نستلف منه فلوس!. دي حتي ما قالتناش اقعدوا افطروا معانا.
- قالت لنا مع السلامة علشان تفطروا مع بابا وماما وما يقلقوش
عليكم.

قالت الصغيرة ذلك وهي تضحك ثم اردفت في ضيق:
- يعني ماتعرفش إن مافيش أكل في البيت، وإن احنا جينا نستلف
الفلوس علشان نشترى فطارا!!

تركتها الكبرى واتجهت إلى الترعة، وراحت تنفرج علي البط السابح
في الماء. ولما رأت بطة تغطس منقارها في الماء وترفعه وقد علقت به سمكة
صغيرة ضحكت وهتفت:

- تعالي شوفي البط بيطلع سمك من المية وياكله.
لكن الصغري لم تتحرك. عادت اليها الكبرى وجلست جوارها علي
الأرض. فقالت لها الصغري:

- الدنيا بتضلم وانت بتشوفي حاجات غريبة. المدفع زمانه ضرب ولا
فطرناش.

فكرت الكبرى لحظة وقالت:

- جعانة؟
- حاموت من الجوع.
- ضحكت الكبرى وقالت:
- حاكلك أكل عمرك ما أكلتيه.
- وراحت باصابعها تصنع دائرة كبيرة على الأرض الترابية وقالت:
- دي طبلية. نفسك تاكلي إيه؟
- لم ترد الصغري التي ضحكت. والكبرى بإصبعها أيضا رسمت دائرة صغيرة داخل الدائرة الكبيرة وقالت:
- دا طبق ملوخية.
- انطلقت الصغري ضاحكة، فاستمرت الكبرى ورسمت أكثر من دائرة صغيرة وقالت:
- وده عيش. شوفي كتير قد إيه.
- ضحكت الصغري وقالت:
- الملوخية عايزة رز.
- رسمت الكبرى دائرة وقالت:
- ودا ياسقي طبق رز. عايزة لحمه؟
- قالت الصغري بشغف عميق:
- فرخة.
- رسمت الكبرى ما يشبه الدجاجة وقالت:
- آدي الفرخة قطعي منها زي ما انتي عايزة.
- ضحكت الصغري ضحكة صافية وقالت:
- دا ما فيش معلقة.

قالت الكبرى.

– كلي بايدك النهاردة. معلش.

وراحتا تأكلان من الدوائر المرسومة على التراب وتستمتعان وتضحكان
حتي استلقت الكبرى علي ظهرها وقالت:

– شبت أوي. إنتي لسة جعانة؟

تمددت الصغري جوارها وقالت:

– شبت خالص. أشيل الطبلية والصحون؟

قالت الكبرى:

– خليها شوية يمكن حد يعدي جعان يلاقي حاجة ياكلها. ياللا بينا
نروح لحسن زمان بابا وماما قاعدين قلقانين علينا.

فحضتا ضاحكتين وأسرعتا في المشي، ثم توقفت الكبرى وأمسكت
بزراع الصغري وقالت.

– صعبان عليا أوي بابا وماما. مش حيعرفوا يعملوا زينا وياكلوا.

واندفعوا معا في بكاء أليم مالبث أن تحول إلي ضحك بهيج.

شفشق وأبريق

جلسا معا علي المقهي صامتين. «شفشق» و«أبريق». هكذا يعرفان وسط اللصوص. هما من أبناء منطقتين عشوائيتين قريبتين. يجبان الجلوس هنا حيث المنطقة الأرقى. نشاطهما كله خارج منطقتيهما. لا يظهران فيهما إلا في الصباح وهما يغادراهما، وفي وسط الليل حين يعودان. أطلق عليهما زملاؤهما هذين الاسمين من حرصهما علي نظافة ثيابهما ونظافتهما الشخصية، والعطر اللذي يحرصان علي وضعه علي ملا بسهما. قال شفشق:

- فيه راجل اشترى تليفزيون عندنا في الزقاق. عايزين نسرقه.
- اندهش أبريق جدا وقال:
- يعني إيه. ما كل الناس عندها تليفزيونات؟
- دا بالذات ما كانش لازم يشتري.
- أنت غريب أوي. ليه؟
- علشان مراته بتيجي كل ليلة تسهر مع أمي واخواتي تتفرج علي التليفزيون عندنا، وبصراحة المرة حلوة وصغيرة.
- يخرب بيتك إحنا في رمضان
- ما هوذا اللي معذبني. ليلة أول رمضان بس اتجاوبت معايا. بصت لي بصة يا جدد سيبت مفاصلي.
- إوعي تكون عملت حاجة.
- بصت لي وقالت لامي أنا عايزة اشرب شاي بالنعناع، ونفسي

اعمله بنفسه وتشربي من إيدي علشان أنا باعمله حلو أوي. وقبل أمي ما تنطق قامت للمطبخ وبصت لي تاني. قمت دخلت وراها. لاقيت نفسي هاجم عليها، صدتني بإيديها وقالت لا. بكرة رمضان حرام. بعد رمضان مش حاحرمك من حاجة.

إندهش أبريق وأخرج مطواة من جيبه الخلفي وقال ضاحكا:
- علي النعمة دي ست عايزة الدبح. طيب وانت عايز تسرق التليفزيون ليه؟

- علشان ترجع تسهر مع امي. أمي دلوقتي اللي بتسهر معاها... مش عارف جوزها جاب فلوسه منين. تليفزيون اتناشر بوصة.

- هوبيشتغل إيه؟

- مكوجي رجل.

- ومستكتر عليه اتناشر بوصة. انت مفترى يا جدع.

وانطلقا يضحكان. ثم قال شفشق:

- بص أنا عملت الخطئة كلها. إنت ماحدش يعرفك في حتنا. انا

حاجيب لك المفتاح بتاعهم.

- إزاي يعني؟

- هي حتديهولي.

- يعني هي موافقة؟

- طبعا. هي كمان عايزة تسهر مع أمي. قالت لي علي الأقل أشوفك

لحد ما يخلص رمضان.

إندهش أبريق جدا وقال:

- طيب بالزمة اللي زي دي مستتية رمضان يخلص ليه. ماهي رايحة

جهنم رايحة جهنم؟

سكت شفشق لحظة وقال:

- برضه الأمل حلو.

- طيب يانيه حاروح لوحدي؟

- انت عارف بيتي. البيت التلات أدوار اللي جنبنا. الشقة يمين السلم

الدور التالت. هي مش شقة طبعاً. اوضة وصالة. زي بتاعتنا. التليفزيون

في الصالة علي طول. وبكرة ساعة الفطار أحسن وقت. الناس كلها

مخزنة في البيوت. وهي وجوزها معزومين عند حمامها. خلاص؟

- خلاص. حتجيب لي المفتاح إمتي؟

- أهو المفتاح.

أخرجه من جيبه فضحك أبريق وقال:

- يابن الإيه؟ دا انت محضر كل حاجة. وتقول لي حاجيب لك

المفتاح.

- التليفزيون دا تمه ييجي خمسميت جنيه. أنا مية وانت مية وهي

الباقى. حنبيعه في أبعد حتة في مصر.

في اليوم التالي ساعة الإفطار كان إبريق يصعد السلم علي حذر. فتح

باب الشقة وانتهى بسرعة من حمل التليفزيون، والزول به محمولاً أمامه

علي صدره، وراح يتزل السلم في هدوء. عند باب العمارة وجد أمامه

رجلاً يدخل مسرعاً. وقف أمامه متخشباً والرجل ينظر إليه في دهشة

فقال:

- شفت حضرتك قلة الأصل بتاعة لناس. تليفزيون زي ده أجيبه لحد

هنا يقول لي ميت جنيه. علشان عارف إني محتاج يعني؟!

- مين ده؟
- الأخ المكوجي اللي ساكن فوق.
- نظر الرجل إلي التلفزيون متوجسا قليلا، وراح يتأمل «أبريق» الذي بدا له أنيقا تفوح منه رائحة طيبة وقال:
- طيب وانت عايز كام؟
- متين مثلا.
- تردد الرجل قليلا ثم قال:
- مية وخمسين. إيه رأيك؟ بس أجربه.
- اصطنع ابريق التردد ثم قال:
- الأمر لله بدل ما ارجع بيه تاني البيت.
- ودخل مع الرجل الي شقته فأشار إليه ان يضعه قريبا من التلفزيون القديم الذي يملكه. كان قد أشار لزوجته أن تدخل غرفة أخرى. أوصل التلفزيون الجديد بإيريال التلفزيون القديم والكهرباء و«أبريق» يقف قلقا يحاول أن يخفي رعبه.
- الله ده جديد وصورته حلوة أوي.
- وترك الصالة الصغيرة إلي الغرفة ثم عاد معه مائة وخمس وعشرين جنيها. أخذها أبريق قائلا:
- زي بعضه.
- وقبلها ثم صافح الرجل وخرج. ما إن وجد نفسه علي السلم حتي أطلق ساقيه مغادرا المنطقة كلها.
- علي المقهي البعيد قابل شفشق الذي حين عرف ما جري هتف:
- يا ليلة سودا. دا حتصل مصيبة. أكيد مرات القهوجي حتحكي

الحكاية والمكروجي حيعرف.

- هو اللي اشتري التلفزيون قهوجي؟

- أيوة. ماهو ساكن في الشقة اللي جنب السلم في الدور الثاني الل
ييتقول إنك دخلتها معاه.

- باقول لك ايه. احنا مالناش دعوة. المهم خلاص مافيش تلفزيون
وهيص انت باه.

- أهيص. ربنا يستر والراجل ما يشكش إن مراته علي علاقة
بالقهوجي، خصوصا انك دخلت بالمفتاح، يعني مش حياقي أي أثر
لغريب. ممكن يفكر إنها اللي اديته المفتاح. وممكن من الضرب تعترف.

رجل أمن الدولة الخلباء

قابلته يجلس وحيدا في ركن من بوفيه محطة مصر. لم أعرفه ولم أتعرف عليه. جلست بعيدا في ركن آخر منتظرا موعد قيام قطار الساعة مساء. كانت الساعة حوالي السادسة. وكما أفعل في كل مرة أسافر فيها اشترى عددا من الصحف، وأجلس أقرأ فيها، وأشرب القهوة حتي يأتي موعد القطار، فأنصرف لأكمل القراءة في القطار نفسه. كالعادة كان هناك ضجيج بالمقهى بسبب التلفزيون ذي الشاشة الكبيرة، وعادة مشرفي المقهى الغربية التي تجعلهم يتركون صوت التلفزيون عاليا. هي عادة مصرية بغیضة في كل المقاهي منذ أكثر من ربع قرن. ولا أعرف كيف يستطيع رواد المقاهي التغاضي عنها، والدخول مع بعضهم في أحاديثهم الخاصة. لاحظت أنه يمعن النظر إليّ. أكثر من مرة ألاحظ ذلك. ثم صار لا ينحرف بنظره عني. كان في حوالي الستين من العمر. يرتدي بدلة رغم الصيف لكن بلا كرافتة. قاومت أن لا أنظر إليه لكني لم أستطع. نظرت إليه مرتين وفي الثالثة ابتسم وحياتي بيده. بل قام واتجه نحوي ووقف يمد يده يصافحني.

- ازي حضرتك يا استاذ حسين؟

قلت مرتبكا:

- أهلا وسهلا. حضرتك تعرفني؟

- تسمح لي أقعد؟

- اتفضل.

- قلت ذلك بارتباك أكثر.
- طبعاً حضرتك نسيته. معاك حق. بس أنا ما نسيتهش. حضرتك بقيت كاتب مشهور وصورك في كل الجرايد. أنا زكريا أحمد.
- انتبهت علي الفور. ضحكت. قلت:
- أنا مافيش في حياتي غير اتنين زكريا أحمد. الموسيقار العظيم وضابط أمن الدولة اللي قبض عليا سنة ٨٥ ١٩. معقول. إزيك يا سيادة الرائد. تلاقيك لواء دلوقت.
- خلاص يا حسين بيه. أنا سبت البوليس من زمان.
- معاش يعني؟
- لا والله. حكاية كده. اسمح لي أعزمك علي قهوة.
- أنا باشرب القهوة.
- خلاص يبقى الحساب عندي. اعتذار يعني.
- ضحكنا وقال:
- بس غريبة إنك ما تعرفتش علياً بسرعة.
- مش غريبة ولا حاجة. إحنا قربنا علي اربعين سنة ياراجل من يوم ما شفتك.
- صحيح.
- قال ذلك وراح ينظر في المنضدة شاردا. ثم قال:
- بس أنا مش زعلان.
- إني ماتعرفتش عليك يعني؟
- لا.. إني سبت البوليس. ومن زمان.
- الله دي حكاية بأه يازكريا بيه.

- فعلا حكاية. حاقولها لك يمكن تكتبها. شوف ياسيدي. في رمضان سنة ٨٦. يعني بعد ما قبضت عليك بسنة. جاتنا أخبار عن شوية شبان إسلاميين ناويين يعملوا عمليات تفجيرية في القاهرة. كانت كل التحريات اللي عندنا بتأكد المسألة. وكنا في رمضان. إنت عارف طبعا إن العادة بتاعتنا يتم القبض علي الناس في الفجر. علشان بتبقي الناس نائمة وما بنحبش نقلق الجيران - ابتسمت وواصل الحديث - ماكانش ممكن ننتظر لبعد رمضان، وطبعا في رمضان ماحدش بينام. اقترحت علي رئيسي العميد مراد جاب الله. طبعا شخصية كانت معروفة - ابتسمت من جديد - اقترحت عليه نقبض علي الشبان دول ساعة الفطار. كان عندنا إخبارية إنهم يلفطروا مع بعض في شقة واحد منهم في بولاق الدكرور. يبقي كده كمان حنلمهم مع بعض.

- ساعة الفطار يازكريا بيه. ياه.

- أرجوك استني. كل اللي حتقوله معاك حق فيه. فعلا اقتراح غير إنساني لكن كمان شؤم.

وابتسم وهو يهز رأسه:

- والله ما مصدق اللي حصل.

- كمل حضرتك. أنا حاسم.

- أيوة حاكم. بس ما تكتبش الحكاية دي إلا بعد ما أموت. والا

أقول لك. اكتبها بس ما تجيبش سيرتي. أنا صحيح سبت الخدمة بس ما تضمنش إيه ممكن يحصل لي.

- إحكي يازكريا بيه اتفضل.

أخذ نفسا طويلا وبدأ يحكي من جديد:

- قبل الفطار بدقيقة كنا تقريبا محاصرين البيت من بعيد. في الوقت ده كانت بولاق لسه مش زحمة زي دلوقت. وكان فيه حتي غيطان حوالين البيوت. المدفع ضرب طلعلنا علي الشقة. خبطنا وطلع لنا واحد بدقن. أول ما شافنا عرفنا. لكن الغريب إنه رحب بينا. زي انت ماعملت معانا كده يوم ما جينا نقبض عليك في الفجر. ياريتنا رحنا في الفجر! المهم دخلت ومعايا المخبرين واتنين ظباط شبان انتشروا في الشقة. أنت عارف طبعا. الولاد كانوا بيصلوا المغرب. سبتهم يصلوا. اللي فتح لنا قال لو ممكن بس يشربوا أي عصير قبل ما نزل بيهم. بصراحة وافقت. دخل المطبخ هو وواحد زميله والمخبرين وراهم، وجابوا لنا صينيتين عليهم كوابيات قمر الدين. سبتهم يشربوا والمخبرين كمان شربوا، وواحد من الاتنين الظباط الشبان شرب ونزلنا في دقائق. حطيناهم في ثلاث عربيات ملاكي ورحنا علي الدقي. شارع جابر ابن حيان. عارفه طبعا.

قلت ضاحكا:

- مين ما يعرفوش. أمن الدولة يا محترم.
- المهم نزلت من عربيتي ونزل السواقين وماحدث نزل تاني غير الظابط اللي ما شربش قمر الدين والشبان المقبوض عليهم. يعني المخبرين والظابط اللي شرب قمر الدين ماتوا في مكافهم.

- بتقول إيه؟

- زي ما بقول لك كده.

- يعني إيه؟

شرحنا الجثث ما لقيناش أي أثر لسم مثلا. العيال اتعذبوا كثير علشان

يقولوا إيه سبب موت المخبرين والضابط وما فيش سبب. ما يعرفوش.
مات منهم اتنين في التعذيب.

احسست بضيق شديد لكني تماسكت وقلت:

- غريبة. بس ما دام ما فيش سم، حضرتك ليه ما موتش لامؤاخذة
يعني، ولا الظابط التاني.

- الظابط التاني بعد سنة كان بينضف طنجته طلعت منها طلقة في
وشه مات. وأنا يمكن حكمة ربنا علشان أعيش متعذب.

- ياه. حكاية غريبة. علشان كده سبت الخدمة؟

- بصراحة اترفدت.

- علشان أنت صاحب الإقتراح. القبض علي الناس ساعة الفطار

يعني؟

- لا. دول ما بيهموهمش، لكن اتشائموا مني. حجيت عشر مرات
ومش قادر أنسي. دلوقتي أنا فاتح محل ملابس حريمي بس مش مرتاح.

مستني الموت في أي لحظة. عايش مرعوب باخد بالي من كل حاجة. مين
عارف يمكن دلوقتي ارتاح بعد ما حكيت لك.

رائحة الحشيش

إشتري «نصف قرش» حشيش من سيدي كيرير. قال له رحومة البدوي وهو يضحك:

— يا استاذ انت بقالك بينا عشر سنين عمرك ما شربت الحشيش ولا اشتريته.

— أصل سهران النهاردة مع جماعة اصحابي. وبصراحة فيهم واحدة صاحبتني. أكثر من مرة تيجي سيرة الحشيش تقول بيحيوه منين. ويعمل إيه. زي ما تكون عايزة تجربه.

ضحك رحومة وقال:

— وحضرتك بأه قلت تجيبه لها علشان تقرب منك. براوة يا استاذ. ضحك وقال لرحومة:

— خلاص بأه بس ما تجيبش سيرة قدام الولاد لما نيجوا في الصيف. — طيب حيث كده خد بالك. اليومين دول البوليس متنبه خالص. قبضوا علي ناس كتير مننا. كمان عند الكيلو واحد وعشرين الدورية بتفتش العربيات كويس أوي.

— يعني إيه؟

— يعني حضرتك بتشتري في أيام صعبة، ولولا فيللتك في أرضنا ما كنت بعث لك. إيه رأيك تعزم أصحابك عندك هنا في الفيللا أحسن وأنا أجبب لكم كل حاجة؟
— للدرجة دي السكة خطر؟

- يعني يكون أحسن.

- بس الفيللا عايزة تنتصف، وانا جاي اسكندرية يومين، ونازل فيهم عند واحد صاحبي، وحتتجمع عنده.

- طيب. علي بركة الله. إذا الشرطة وقفتك طلع الرخص علي طول، وخلي المسجل شغال بالأغاني وركز فيها، وبعدين انت يعني صعب يشكروا فيك. وأحسن حاجة تنتظر شوية لغاية قبل الفطار بنص ساعة. حيكونوا ملخومين بتوضيب الفطار. يعني تتحرك من عندي كمان ساعة.

- وهو كذلك.

جلس عنده حتي بقي نصف ساعة علي مدفع الإفطار، وأخذ سيارته وانطلق إلي طريق الساحل. كان قد وضع لفافة السيلوفان داخل طفاية العربة أمامه. فكر أن ينظر إليها. في الحقيقة انقطعت صلته بتدخين الحشيش منذ عشر سنوات. هذه المرأة الجميلة هي السبب. أخرج لفافة السيلوفان ينظر فيها فإذا بها تنتفش بين أصابعه. لم يحكم رحومة إغلاقها. توقف بالسيارة وفكها ليغلقها جيدا. رأي شرائح الحشيش أمامه. لا يعرف ما الذي جعل أصابعه ترتعش فتناثرت بعض الشرائح علي أرضية العربة. تضايق وراح يجمعها ويلفها في الورقة من جديد. لماذا اختار رحومة له الشرائح ولم يعطه ما يريد قطعة واحدة؟ أعاد الورقة إلي مكانها ولكن رائحة الحشيش ملأت العربة. يا إلهي. هذا نوع جيد يذكره بحشيش زمان. كثيرا ما سمع أصحابه من هواة الحشيش يقولون في استياء أن كل الحشيش مضروب. لكن ماذا سيفعل الآن والرائحة تملأ العربة. ترك الطريق الساحلي وأخذ طريق برج العرب. من هناك

يدور إلى الطريق الصحراوي، ويصل إلى الإسكندرية من محرم بك. طريق أطول لكنه خالي من الشرطة. آخر نقطة شرطة قبل العامرية، وهولن يصل إلى هناك. أخذ الطريق الجديد وأسرع. دق الموبايل فوجد صديقه يسأله عن مكانه. أخبره بكل شيء. وضحك وقال:

– تصدق أنا خايف جدا. إيه اللي خلاني اعمل كده؟
قال صديقه:

– ما تخافش البلد كلها بتعمل كده. المهم خد بالك من الطريق. كلنا مستنيينك الليلة.

كان قد انتهى من طريق برج العرب، وانحرف عند مفارق الطرق إلى الطريق الصحراوي ووصل أيضا إليه، ويأخذه الطريق الآن إلى الإسكندرية. علي يقين هو أنه لا توجد هنا كمائن شرطة؟ كانت السيارات تسرع حوله تسبقه، وهو يقود السيارة علي مهل حتي إذا ظهرت أي قوة شرطة لا يكون لديها سبب لإيقافه. وبالذات السرعة مثلا. صار تقريبا وحده الآن في الطريق الذي يتوسط بحيرة مربوط التي قامت علي جانبيها المصانع الكيماوية والبترولية والمباني الخالية والمحلات، وحين تظهر بقاياها يشم رائحة العطن الذي يسببه الصرف الصحي للأسكندرية فيها. الآن هو يقترب من نهاية الطريق فيظهر أمامه فجأة مجند أمن مركزي شاب يقطع عليه تقريبا الطريق. هل يمكن؟ هل هذا كمين؟ هل الجندي يشكل كميننا وحده الآن؟ توقف بالسيارة واقترب منه الجندي الشاب يقول:

– ربنا يخليك خدي معاك لغاية محرم بيه الحق الفطار. ما تزعلش مني حضرتك إذا كنت قطعت الطريق. جعان وعازر أسافر.

تردد قليلا ثم قال:

- اتفضل.

فتح العسكري باب السيارة وجلس جواره وتحرك هو بالعربة وهو يقول:

- انت إيه اللي موقفك هنا في حنة مقطوعة زي دي؟

- الظابط بتاعي نزلني من عربيته هنا. إفتكر إنه ناسي حاجة في المعسكر. قال لي اتصرف في نفسك ورجع.

- طيب وكان واخذك معاه ليه؟

- كان نازل اسكندرية عند أهله. بيتزل كل يوم. وأنا واخذ اجازة.

قال لي تعالي أوصلك سيدي جابر وتركب القطر وتسافر بلدكم. هو بيحبني. أصل أنا عسكري المراسلة بتاعه.

- الخدمة يعني.

- ايوة. وكثير ياخدني البيت أخدم أهله. تصدق وقفت ساعة ما

حدش وقف لي إلا حضرتك.

حط عليهما الصمت للحظات، فجأة قال الجندي:

- فيه ريحة غريبة في العربية دي. زي ما يكون حشيش.

- لا ياراجل. وبعدين انت تعرف ريحة الحشيش؟

- ايوة. ماهو الظابط بتاعي ييشربه. دا أنا اللي باعمل له الجوزة

وأعمر له الحجارة. حضرتك مش مصدقني؟

- مصدقك طبعا بس ما فيش ريحة حشيش في العربية. دا سبراي أنا

بارشه فيها دايمًا.

قال الجندي:

- والا حشيش يابيه. المهم حضرتك خدتني معاك. ولو تكمل معروفك تديني جنيه أشتري بيه ساندوتش فول أفطر علي المحطة. أنا يادوبك معايا تمن القطر.

معہ دائما...

حين يأتي رمضان من كل عام يعرف أنه سيمضي الساعتين السابقتين علي مدفع الإفطار مع زوجته في المطبخ. ساعتان لمدة شهر يمضيها معها سعيدا. يراها وهي متحمسة في الطهو وتطلب منه أن لا يسألها عن شيء ولا يتدخل في أي شيء. فقط يتفرج فوجوده يجعلها سعيدة. حدث هذا منذ أول رمضان يمر عليهما بعد الزواج. لم يكن يعرف شيئا عن الطهو. قالت له أن عليه فقط إعداد السلطة فأمرها سهل. عاما بعد عام بدأ يساهم بمجهود بسيط. أن يقوم بتقشير البطاطس مثلا او تبيل اللحوم قبل شيها، أو سلق الدجاجة والتخلص من الريم الذي يطفو علي سطح الماء. أو يقف قليلا أمام السمك يقلبه أو يغسل الأرز، أو يعد عصير قمر الدين أو الخروب او غيرها من العصائر، وفيما بعد تقشير البصل ليضحكا معا علي حالته. كان يفعل دائما شيئا واحدا بينما هي تفعل شيئا آخر. وكانت تعجبه مهاراتها في انجاز كل شيء في وقت قياسي. ولما سأها عن سر المهارة قالت له ضاحكة «نظام بينما» فسألها يعني إيه، فقالت يعني بينما يتم سلق الفرخة يتم غسل الأرز، وبينما يتم شي اللحمية يتم غسل الادوات التي استخدمت. يعني ماتعملش الحاجة ورا بعض، لكن مع بعض. ثم قالت له أن أجل ساعات رمضان هي التي تقضيها الزوجة في إعداد الإفطار. الوقت يمر بسرعة، ويمر بسرعة أكثر حين يكون هو معها، فهي تطهو الطعام وتحدث معه ويضحكان كثيرا. أحيانا كانت تطلب منه أن يخرج من المطبخ فيقول باسمها:

- ملوخية النهاردة؟
- آه.
- نفسي تعملها قدامي.
- تضحك.
- لا تبوظ.
- طيب إنتي بتعملي إيه بالظبط؟
- بعدين أقول لك.
- أنا عارف. بتشهقي؟
- الله بأه إسمع الكلام. والا عايز الملوخية تبقي زي المية.
- يضحك ويخرج. يبتعد قليلا عن المطبخ ثم يعود بسرعة فتكون هي في انتظاره باسمه تهرز رأسها.
- عارفة إنك حترجع. مش حاعمل حاجة الا ما تبعد خالص في الصلاة عند التليفزيون.
- بيتسم ويتبعد إلي التليفزيون. ويجد نفسه بعد لحظات ينادي:
- خلاص؟
- يأتيه صوتها حلوا:
- خلاص تعالي.
- يدخل يواصل العمل معها.
- كبر الأولاد ومرت السنون وماتت. السرطان اللعين الذي أفصح عن نفسه بعد أن تفشي في الجسد، فخرجت من العمليات إلى الرعاية المركزة الي الله. كان ذلك بين العيدين. وكان ولداه قد كبرا. الأول في العشرين من العمر والثاني في الثامنة عشر. الأول أمامه عامان في

الجامعة والثاني في الثانوية العامة. كان عليه أن يتماسك أمامهما بأكبر قدر ممكن. هذه سن خطيرة ومن كانت تنتبه الي حياة الولدين ودّعت الدنيا. كانت لا تسمح لهما بالبقاء كثيرا في الشارع. تتابع تحركاتهما ودراستهما أكثر منه هو المشغول في أعمال كثيرة. صار عليه الآن أن يقوم بكل شيء. كانت تقول دائما أن الشارع والمدرسة والجامعة صارت مناطق الخطر. ومهما بذل الأهل من جهود في التربية فهذه الأماكن صارت تفسد كل شيء مالم ينتبه الأهل. وتربية الصبيان أصعب من البنات لأن اعتدادهم بنفسهم أكبر وطاعتهم لأهلهم أقل. صار عينا لا تغفل عن ولديه. صار أبا وأما. قلل من أعماله الخاصة. وصار هو الذي يطبخ، وعلمهما استخدام الغسالة، وعلمهما أن يقفا معه أحيانا وهو يطهو الطعام ليتعلما ما تعلمه من أمهما. بالليل يناما ويظل هو وقتا طويلا يتألم في صمت يتذكر أيامهما الجميلة. لا يريد أبدا أن يبدو أمام الولدين حزينا حتى لا يفتح جرحهما.

عاد شهر رمضان كما يعود دائما. الأيام لا تقف من أجل أحد. قال لنفسه ذلك في حسرة. استعد له كما يستعد كل عام. إشتري ما كانت تشتريه زوجته من أطعمة وياميش وبلح. قرر أن يجعل رمضان مبهجا مثل كل عام، وأن لا يشعر الولدان بفقد أمهما. دعاهما إلي المطبخ معه قبل الموعد بساعتين. صاروا يتحدثون في كل شيء. هو يفتعل الحديث عن أي شيء لينسي إنه كان يقف هنا معها، وهما بدوريهما أحسا بذلك فكانا يفتحان معه أحاديث عن كل شيء في المدرسة أو الجامعة أو أصحابهما. ودائما كانا يحكيان أشياء تثير ضحكه وبهجته. أنجزا ما كان يطلبه منهما من إعداد للسلطة أو غسل الأرز أو إعداد العصير وغيره

من الأشياء البسيطة. بعد أن انتهوا من كل شيء كانت دقائق قد بقيت علي مدفع الإفطار، فراح يعطيهم صواني الطعام والأرز وزجاجات العصير والأكواب وسلطانيات الشربة الطعام والأطباق الفارغة التي سيفرغ فيها كل منهم مايشاء من الطعام، وهما يحملان ذلك إلي السفرة في الخارج. توضأ الولدان استعدادا للصلاة حين ينطلق المدفع. راح هو ينظم الأشياء علي السفرة ثم توضأ بعدهم. وحين انطلق مدفع الإفطار وأذن المؤذن للصلاة قاموا وصلوا في الصلاة خلفه كما تعودوا كل عام، ثم عادوا إلي السفرة وجلسوا. إنتبه الإبن الأصغر إلي الأطباق الفارغة التي أمامهم فضحك وقال:

- بابا حضرتك حطيت علي السفرة أربع صحون واحنا ثلاثة.

قال الأكبر وهو ينظر إلي الأواني كلها علي السفرة:

- صحيح. حتي الكوبايات الفاضية علشان العصير أربعة وسلطانيات الشوربة أربعة وكمان الشوك والسكاكين والمعالق أربعات، واحنا شيلنا كده الحاجة للسفرة وماخذناش بالننا.

انتبه الأب فسكت قليلا وراح يقاوم دموعه التي صعدت إلي عينيه فجأة، ثم قال بصوت متهدج غير قادر علي منع نفسه:

- ماما حتاكل معانا.

الحسل

هكذا شاءت ظروف عمله أن تكون أجازته السنوية هذا العام في رمضان الكريم. زملاؤه المصريون يقولون له ضاحكين هذا هو الجهاد الأعظم. فهو سيتزوج ويمضي شهر العسل ويعود تاركاً زوجته. زملاؤه السعوديون يضحكون ويقولون والله ياراجل انت صعبان علينا، بس مافي مشكلة الدنيا شتا وعندك الليل طويل. أما هو فقد لجأ إلي شيخ الجامع القريب وسأله هل يبيح له الزواج الإفطار في رمضان. وطبعاً قال له الشيخ أن الزواج لا يبيح الإفطار في رمضان، لكن من المؤكد أن أجره عند الله سيزيد هذا العام عن كل صيام سابق. في القاهرة كانت عروسه تنتظره في ارتباك، غير قادرة أن تسأل هذا السؤال لأحد. صاحباتها يضحكن ويقلن لها إنني مش أول واحدة تتجوز في رمضان. وبعدين يعني انتي حتسافري معاه بعد رمضان وهناك حقيقي شهر العسل الحقيقي. حدثته عبر الشات أن يحاول إرجاء أجازته لبعد العيد الصغير فأخبرها باستحالة ذلك. سيصل في اليوم الخامس من رمضان، وسيكون حفل الزواج في اليوم العاشر، ويعود إلى السعودية آخر أيام العيد الصغير.

تم عقد القران وانتهى حفل الزواج، وصعدا الي غرفتهما التي خصصها لهما الفندق الذي أقيم فيه الحفل ليوم واحد، وفي اليوم الثاني طارا إلي طابا لقضاء أسبوع هناك. في الطائرة جلس جوارها صامتا يتسم من سوء الحظ. فموعد الفرح أيضا جاء مع موعد دورقما الشهرية. كيف

حقاً لم تجربه بذلك فكان يمكن تأجيل الفرح إسبوعاً آخر.
لقد جلست ليلة الزفاف صامئة تضع رأسها بين يديها في هم واضح
وقالت له:

- سامحني يا حبيبي ماقدرتش أقول لك. زهقت من الظروف دي
وقلت علي الأقل أبقى جنبك.

قال مبتسماً وهو يرفع يديه إلي السماء:

- رمضان وقلت مش بإيدي. تطلع لي الدورة كمان. سبحانك ما
أعظم شأنك.

ثم ضحك وأمسك بيديها يقبلهما وقال:

- ولا يهملك يا حبيبي. كده حنشتاق لبعض أكثر.

وراح يقبلها بينما كانت دموعها تزل علي خديها.

في الطائرة قال لها ضاحكاً:

- العيلة كلها عرفت ميعاد الدورة الشهرية بتاعتك.

لكزته في ذراعه وقالت:

- إزاي؟

- العيلة كلها كانت مستنية المنديل. دم البكارة.

ضحكت وسألها:

- جبتيه معاك.

- نسيت.

- كمان. طيب نشترى منديل من طابا.

لكن ران علي وجهها شيء من الألم فقال لها:

- يا حبيبي أهم حاجة في الدنيا إن احنا مع بعض. كفاية إنك في

حضني. دا بالدنيا كلها.

ثم ضحك وقال:

- إيه رأيك نفطر هنا وماحدث شايف حاجة؟

نظرت إليه مندهشة فقال ضاحكا:

- حتي لو فطرنا. السكة مقفولة خمس أيام!.

قرصته في ذراعه. وبعد خمسة أيام دخل بها، لكن كان عليهما أن يعودا الي القاهرة في اليوم الثاني. شقتهما تم تأثيثها كاملة. وسيمضيان بقية الإجازة بها. جهزت أمها الشقة بكل مايمكن أن يحتاجه العروسان من طعام. إعتذرا عن كل دعوة للإفطار من أسرتهما أو أسرته. الآن سيمضيان أيام العسل كما ينبغي. أمضيا الليل في هناء والنهار في نوم أو أمام التلفزيون. طول النهار لايفك هو عن الاقتراب منها وهي تبتعد وتضحك وتشير إلي ساعة الحائط كأنها تعلنه باقتراب موعد مدفع الإفطار. يقول علي فكرة البوس مش حرام. تضحك وتمضي من أمامه. مافيش اي حاجة حرام إلا النوم الكامل. يقول ويكمل، انا سألت واحد شيخ في السعودية. تقول له:

- أدخل معايا المطبخ ساعدني وسلي نفسك بالشغل.

دخل معها المطبخ الذي وضعت فيه راديو مفتوحا علي محطة القرآن الكريم. راح يساعدها بهمة، خاصة أن حياته وحده في الغربة جعلته مدربا علي الطهو. لكنه بين الحين والحين يخطف قبلة، أو يأخذها الي صدره فتترك نفسها لحظة، ثم تبتعد ويبدو التوتر علي وجهها. فجأة قال لها:

- سمعتي؟

- سمعت ايه؟

- الشيخ اللي بيتكلم في الراديو قال أن كل حاجة حلال في الصيام إلا الجماع. زي ما قال لي الشيخ السعودي بالظبط.
قالت:

- حبيبي انت بتسمع اللي انت عايزة. وبعين يا حبيبي انت ما بتشبعش؟
قال ضاحكا:

- أشبع؟ دا انا أكبر محروم في الدنيا. دا هما أربع أيام دلوقتي. والحقيقة هما اتنين لأن لينا في كل يوم نصه بس. نص في أربعة يعني اتنين.
- طيب طيب. أصبر يا حبيبي. خليني اشوف الأكل ليشيط ع النار.
وعادت إلي عملها وقالت:
- أحسن حاجة تغسل المواعين اللي استخدمتها. تقف بعيد عند الحوض.

قال بدهشة:

- بعيد. المتر ده يبقى بعيد؟
- أيوة تدي وشك للحيط.

قالت ذلك ضاحكة، وهو بدوره ضحك، وراح يغسل المواعين، وهي بدأت تنتبه إلي أنها سمعت الشيخ يقول شيئا قريبا مما قاله لها. ابتسمت واستغفرت الله وواصلت عملها. بعد لحظات ترك الحوض والأواني وجاء من خلفها وأحاطها بذراعه وراح يقبل عنقها من الخلف. كان صوت الشيخ رفعت يأتي من الراديو وهو عادة يأتي في هذه المحطة قبل الإفطار بخمس دقائق. راحت هي تحاول التملص منه. استطاعت أن

تستدير اليه. النار تكاد تشعلها ولا تستطيع الابتعاد عنه. نظرت إليه صامته ولاحظ شرود عينيها وقالت بصوت خفيض حرام. أنا خائفة وكان الشيخ رفعت قد انتهى وانطلق مدفع الافطار فحملها إلى السرير قائلاً:

– نفطر غسل النهاردة.
وتركا كل شيء يغلي أو يحترق علي النار.

تامر يۇڭۇ

دعاني أحد الأصدقاء الشباب للإفطار أنا وزوجتي عنده. ذهبنا قبل الموعد بساعة. سرّ صداقتنا هو صداقة زوجتي، بل كانت زوجته تلميذة لزوجتي في المرحلة الإعدادية، وهي الآن مدرّسة في المدرسة التي تعمل زوجتي مديرة لها. جلست أنا وهو في الصالة نتحدث والتلفزيون مفتوح أمامنا لا نهتم به. تركناه لابنه وابنته التوأم يتفرجان ويقلبان في قنواته. ولداي لم يكونا معنا فهما متزوجان. ابنه وابنته في العاشرة. سألني وهو يشير إليهما:

- ايه رأي حضرتك في الولاد. يصوموا. باحاول أعودهم علي الصيام، وصاموا الثلاث أيام اللي فاتوا.
قلت:

- مش عارف لكن أنا أشعر إن الصيام غير مناسب لسنهما.
نظر إلي في دهشة وقال:

- معقول؟ لا. المفروض يتعودوا علي الصيام. العاشرة سن مناسب جدا، خصوصا إننا في الشتاء والفطار يبجي بسرعة.

- مش عارف. أنا أصلي تربيت في بيت بسيط. أبويا الله يرحمه كان متدين جدا لكن في مسألة الصيام ماكانش يضغط علينا في سن مبكر. فإني صمت أول مرة في سن اتناشر سنة تقريبا. وحتى في السن ده أبويا كان دائما يقول لي إذا جعت أوي كل. الدين يسر ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها. عارف حاحكي لك حكاية لطيفة جدا.

ووجدت نفسي أحكي له حكاية مضي عليه نصف قرن تقريبا. كان رمضان في الصيف. وكنت أصوم لأول مرة. وزارتنا جدتي من الأرياف محملة بالبط والأوز والفطير المشلت. لم تطبخ أمي شيئا ذلك اليوم. فقط أعدت عصير قمر الدين. كان من عادة أبي أن يطلب من أمي وضع الأكل علي الطبلية قبل المدفع بعشر دقائق مثلا أو ربع ساعة. كان يعتبر انتظارنا للمدفع والأكل أمانا نوعا من الثواب نأخذه لأن في الانتظار شيئا من العذاب. في ذلك اليوم الذي كان الأكل فيه جاهزا وضعت أمي علي الطبلية قبل نصف ساعة تقريبا. كان أبي سعيدا جدا وهو جالس أمام الطبلية يقرأ القرآن في صمت من مصحف قديم وينتظر المدفع. أمي جلست في الحجرة الداخلية وراحت مع جدتي في حديث طويل. أختاي الأكبر مني جلسنا أمام الطبلية في أدب. كنت ألاحظ أحيانا أنهما تنظران إلي بعضهما في شيء من الحسرة. في ذلك اليوم كنت أريد أن أثبت لنفسي قدرتي علي الصيام. لكن منظر البطّة والأرز المعمر والفطير المشلت وعسل النحل كان شيئا لا يمكن مقاومته. إنسحيت بهدوء خارجا من باب البيت. كنا نسكن في مساكن السكة الحديد وكل بيوتها دور واحد. كان هناك جامع صغير يؤذن فيه المؤذن بلا ميكروفون. لم نكن نعرف الميكروفونات إلا في الأفراح. وقفت تحت النافذة وأذنت المغرب. رفعت صوتي بقدر ما أستطيع. إنتهيت من الأذان بسرعة ودخلت البيت، فوجدت الجميع يشربون العصير ويبدأون في الأكل. جلست وأكلت معهم في صمت. لاحظت أن أبي ينظر إلي أكثر من مرة. ارتبكت جدا وخفت. لابد أنه عرف صوتي. في منتصف الأكل أذن المؤذن في الجامع. لم يكن لدينا راديو. لم يكن أحد

يمتلك راديو في المساكن. وطبعاً لم يكن التليفزيون قد ظهر. توقفت أُمِّي عن الأكل وقالت: استغفر الله العظيم. مين ابن الحرام اللي أدن وخلانا فطرنا قبل الميعاد. نظر إلي أبي وقال خلاص. إحنا ماغلطناش وحسابنا عليه عند ربنا. كملوا أكل» اكمل الجميع الأكل في صمت. وبعد ذلك اخذني أبي إلي الغرفة وقال لي هامسا، ماتعملش كده تاني يا مصطفى. ارتبكت وخفت وقلت هو انا عملت إيه؟ قال لي أنت اللي أذنت. أنا عارف صوتك. ما أخذتش بالي علشان كنت مشغول بالقرآن. لكن لما أذن المؤذن الحقيقي انتبهت. افتكرت إني سمعت صوت زي صوتك. أمك برضه عارفة صوتك بس كانت مشغولة بالكلام مع جدتك وكويس إنها ما خدتش بالها زيي. وخواتك البنات عارفين صوتك بس ما اتكلموش علشان أكيد كانوا جعائين. ودول حسابهم معايا. كده يابني ذنب كبير تتحملة في السن ده. جعت كل. مش أنا قايل لك كده؟

ضحك صديقنا الشاب وضحكت معه وارتفع صوتنا جدا. قال:

- وما ضربكش مثلاً؟

- لا.

- والد حضرتك دا كان متسامح أوي.

قلت:

- كان يحتم القرآن في رمضان في المنزل. أنا حفظت تقريبا نص

القرآن من استماعي له. كان زمن وكانت ناس.

بعد لحظات ارتفع الآذان في غرفة داخلية في شقة صديقي. نظرنا إلي

بعضنا في دهشة وانطلقنا نضحك. نادي بصوت عالي.

- ياتامر. تعالي هنا.

وجاء تامر إبنة من الغرفة يرتعش.

قلت:

- ارجوك ما تزعلوش.

حاول صديقي الشاب إخفاء ابتسامته وقال:

- جعان؟

قال تامر:

- لا.

- انت جعان.. أمال بتدن ليه؟ ادخل المطبخ عند ماما كل أي حاجة

اتصبر بيها.

أسرع تامر إلي المطبخ وانطلقنا نضحك من جديد. لقد سمعني وأنا أحكي الحكاية وطبعا لم يكن ممكنا أن يخرج ليؤذن في الشارع، فالعمارة عالية وشقتهم في الدور السابع والمساجد كلها تؤذن في الميكروفونات والتليفزيون أماننا مفتوح علي التمثيليات ولم يبدأ فيه القرآن الذي يسبق الآذان بعد. وأكد لم ينتبه تامر من فرط الجوع أننا سنكتشفه بسهولة. وقامت خلف تامر أخته أيضا وأنا لا اتوقف عن الضحك.

بلاش، تسافر

لثلاثة أيام تحاول أن تقنع أمها بأن تتركها تفطر مع خطيبها خارج المنزل..

- ليه ياماما بترفضي أخرج معاه؟

- كفاية كده. سنتين خطبة ولا جاب شقة ولاعمل أي حاجة لمستقبله.

- ياماما مش يايده.

- لأ يايده. جات له فرص كتير يسافر الخليج وكل مرة يرفض. جوز أختك هناك بيعت له أكثر من مرة. أخوكي كمان بيعت له. وقلنا له يسكن في الشقة اللي بابا اشتراها لك ورفض. إنتي بتحبينه علي إيه؟

- ياماما محمد شاعر ومكانه هنا. مصر. وإنتي عارفة أنا باحب الشعر والأدب. محمد مثقف ياماما واحنا بنحب بعض من أيام الجامعة وحضرتك عارفة.

كانت أمها تنظر إليها ساخرة.

- شاعر. بدمتك بتفهمي اللي بيكتبه. خلاص روحي افطري معاه. بس ياريت تقولي له يخطط نهاية للحكاية دي. فيه عشرة ورا الباب ده يتمنوا رضاكي. بعدين حتفطروا فين إن شاء الله.

- في المكس عالبحر عند الفنار. عند اللول.

- مين؟

- اللول. مطعم سمك شعبي علي المية علي طول.

- يلهوي. باحسبك حتقولي «سي جل». روعي ولما ترجعي ما تحكيليش حاجة.

وتركتها أمها في غيظ.

إختار محمد مكانا بعيدا بأمطار قليلة عن الناس. الموج تحت أقدامهما والفنار القديم أمامهما وعلي الشاطئ فقراء حي القباري والوردبان الذين آثروا البقاء علي الشاطئ طول النهار، وسيمضون أيضا جزءا من الليل فالجو صيف. صوت الموج الذي يتهادي إلي الشاطئ لا ينقطع. والشمس هناك في الغرب تزل إلي الماء وتصبغ الأفق بحمرتها الشهية. سفن تقف بعيدا جدا تنتظر دخولها إلي الميناء. سفينة خارجة من الميناء تبتعد في الماء. عامل من عمال المطعم القليلين يضع أمامهما أطباق السلطة. حين وضع العامل أطباق السمك هتفت سعيدة:

- الله. كابوربا وكاليماري ودنيس كمان!

- كميات بسيطة بس قلت أنواع في الأكل.

- أول مرة في حياتي أكل جنب المية كده. المكان هنا حلو أوي.

كان هو ينظر الي طيور النورس التي تدور فوق الماء. تبتعد وتعلو ثم تعود. تزل إلي الماء تخطف شيئا وترتفع به الي الفضاء ثم تعود للدوران. لاحظت هي ذلك أيضا فقالت:

- هو النورس بيزل المية ليه؟

إبتسم وقال:

- ييلقط السمك.

- جميل أوي.

قالت ذلك بطفولية عذبة. وانطلق مدفع الافطار فبدأ الحاضرون في

الأكل بينما قام بعضهم يصلي بعد أن فرد مصلية كانت معه علي الأرض. وانساب صوت الشيخ محمد رفعت يؤذن بصوته الذي خلقه الله للسكينة والوداعة والرضا.

سكتا قليلا وراحا يأكلان في صمت. طال الصمت فقالت:

- أنا مش عايزاك تسافر.

ابتسم وعاد للأكل فقالت:

- إحنا كده كويسين وأنا مش حاتخلي عنك أبدا.

إرتبك للحظة ثم عاد يعضغ الطعام شاردا يفكر أنه لابد قد أثير في مزها كلام عن تخليها عنه.

- بس أنا خلاص. حاسافر.

هلت الفرحة من عينيها وافتрشت وجهها.

- معقول. يعني وافقت؟

ثم وضعت يدها علي يده وقالت:

- مقتنع يا حبيبي؟

- مقتنع. لابد من نهاية يا آمال.

وعادا إلي الصمت وراح من جديد ينظر إلي طيور النورس. رأي أحدها يترك السرب الذي يدور بينه ويقترّب من الشاطئ ثم يعود إلي السرب من جديد. ومرة أخرى عاد إلي صخور الشاطئ يحوم فوقها ويعود إلي السرب البعيد فوق الماء.

- حاجة غريبة. طائر نورس جه مرتين يطير فوق الصخور ويرجع للسرب الأصلي فوق الميه.

ابتسمت وقالت:

- عادي مش بيطير. وبعدين ازاى عرفت إنه هو نفسه.
قال بلهفة:

- بصي. أهو جاي.

نظرت حيث أشار فرأت طائر النورس يقبل مسرعا في الفضاء ويدور أكثر من دورة فوق الصخور، ويرتفع ثم ينخفض ثم يرتفع من جديد، ثم يهبط بسرعة فائقة يصل برأسه إلي الصخور ويعود يرتفع ويمضي بعيدا فوق الماء. لكنه ارتفع جدا وبشكل فائق ثم صرخ صرخة مدوية وسقط بسرعة إلي الماء ليختفي وسط الموج. ابتعدت طيور النورس بسرعة في كل اتجاه وحلقت عاليا وبدأت تصرخ وبدأ أنها ستترك الشاطئ.
قالت بدهشة:

- ماذا جري؟

لكن اللول صاحب المطعم وهو صياد قديم وقف قريبا منهما يقول:
- نورس غشيم. نزل الصخر خطف كابوريا. أكيد غرست رجلها فيه. مات. البحر واسع قدامه وكله خير ليه بس يروح للصخر.
طال بينهما الصمت وهما يستكملان الإفطار. في اللحظة التي انتهيا فيها قالت له بشفقة وخوف:

- أنت بتحبني يا محمد؟

نظر اليها نظرة عميقة كلها شغف وحب وقال:

- قد البحر يا آمال.

قالت وهي تمسك بيده:

- خلاص. علشان خاطري بلاش تسافر.

ہکا ہوا

كان صبيا يعمل في محل جزارة. تعلّم في المحل كل شيء. الذبح والسلخ والبشكرة. أي إخراج المعدة والأمعاء وتنظيفهما، وطبعا الفرم وعمل السجق. كل ما يتعلق بالمهنة في الحقيقة. كان من أحلامه أن يخصص صاحب المحل جزءا منه كمطعم، لكن صاحب المحل كان يرفض ذلك ويقول له ضاحكا «علشان ييجوا بتوع الحكم المحلي والحلي ووزارة التموين ياكلو بلاش. الله الغني» ويضحك.

جاء اليوم الذي صار فيه كبيرا علي العمل عند أحد. لكنه ظل وفيًا لمعلمه صاحب المحل. مات معلمه فلم يشأ وفاؤه أن يجعله يتخلي عن بناته اللاتي كن بعيدا تماما عن المهنة، فهن ثلاثة تخرجن من الجامعات وتزوجت إثنان منهما. لكنه لم يتحمل معاملة زوج إحدي المتزوجتين فقرر ترك العمل. استطاع بما ادخره مع الزمن ومعاونة زوجته التي باعت ذهبها كله، أن يؤجر محلا في شارع كبير في حي شعبي ويعده للمهنة التي لا يعرف غيرها ويتقنها أكبر إتقان، ويحقق حلمه أيضا في تخصيص جزء كمطعم للكباب والكفتة. كان رمضان الكريم علي الأبواب فتوقع خيرا كثيرا. خفض أسعاره عن كل الجزارين، وفرش الرصيف بالطرايزات الجديدة، وماكاد نهار أول يوم في رمضان يمضي حتي كان قد باع تقريبا كل كميات اللحم التي عنده، باستثناء ما أعدوه للشهي من كباب أو كفته أو طرب أو موزة أو ريش. قبل المدفع بساعة تذكر ماقاله له معلمه الراحل عن رجال الحلي أو التموين فاستعد لهم

بالتخفيض فقط في السعر. لكن لا أحد جاءه. فقط هلّ عليه أمين شرطة طويل لا تتوقف عيناه عن الحركة وقال له:

– الباشا متضايق من ريحة الدخان.

إندهش جدا وقال باسم:

– هيا بتعدي الشارع.

– دي مش الريحة بس. الدخان نفسه بيدخل من شبابيك النقطة.

– كانت شبابيك نقطة البوليس أمامه مغلقة دائما. لقد تشاءم للحظة

أن يستأجر محلا أمام نقطة البوليس. أحس بذلك وهو يكتب عقد الإيجار. لكنه استسلم للموقع والمنطقة الشعبية. ثم يمكن أن يكون في ذلك حماية له. هكذا حدث نفسه وقتها.

وقف أمام أمين الشرطة مترددا في الكلام ثم قال:

– مش عارف أقول لك أيه!

قال الأمين:

– ماتقولش حاجة. حيتعود. وبينك ريحة برضه عاجباه. بيقول

لك ابعت لنا فطار النهاردة.

ابتسم وقال:

– تحت أمرك. للباشا؟

– للباشا الكبير والإثنين البهوات الصغيرين.

– يعني ثلاثة!؟.

– بالضبط. عليك نور. بس قلل الكفته وكتر الكباب. ممكن موزة

يبقي أحسن. أو أقول لك شكل. كباب علي موزة علي طرب.

قبل المدفع بدقائق كان أمين الشرطة قد عاد إليه وحمل طعاما لثلاثة

أشخاص. أعطاه الفاتورة فنظر إليها أمين الشرطة وابتسم ثم قال في رضا مصطنع:

- معقول برضه.

تكرر الأمر في اليوم الثاني والثالث. وأمين الشرطة يأخذ الفاتورة ولا يأتي بحساب. في اليوم الرابع وقبل المدفع بساعتين وجد أمامه عددا ضخما من رجال الرقابة علي السلع من وزارة التموين ومن رجال الحلي. قال لهم وهو يشير للمحل:

- اتفضلوا ما عندناش حاجة تخوفنا.

لكن ظهر أمين الشرطة فجأة وراح يتكلم معهم بصوت غير مسموع، فانصرفوا جميعا مبتسمين. قال لأمين الشرطة:

- ليه ما سيبتهمش يشوفوا شغلهم. أنا ما عنديش مشكلة.

- حضرتك غشيم. هما اللي حيعملوا ليك مشكلة. وحلّني علي ماتثبت إنك صح. وبعدين حتضطر تدي كل واحد كيلو لحمة علي الأقل وكيلو كباب كل يوم. وحيجيوا بعض. مادام عرفوا السكة. يعني حتقفل وتبيع اهوا بعد كده.

نظر إلي أمين الشرطة نظرة طويلة وابتسم وهز رأسه فقال الأمين:

- معلش الباشا بيقول لك النهاردة عازم ضيوف علي الفطار في النقطة. إبعث له فطار خمسة.

هز هو رأسه وانصرف الأمين.

بعد الإفطار والعمال تنظف كل شئ قال لهم:

- معلش ياجاعة. كل واحد منكم يشوف ليه كام عندي. مش لازم تستنوا لآخر الإسبوع.

قال أحدهم ضاحكا:

– حثبضنا النهاردة يا معلم. هي البلية لعبت؟

قال:

– لا. خلاص. حاقفل واشوف محل في حطة تانية. مش لازم استني

لغاية ما أبيع الهوا.

سماء وجمبري

سمع بعض أصحابه يتجدثون عن مائدة الرحمن التي يقيمها مرشح مجلس الشعب عن دائرة مينا البصل. المقاعد الخشبية الجديدة التي يجلس عليها رواد المائدة. المناضد الجديدة. الأطباق الصيني والأركوبال. أنواع الأكواب الفاخرة. الطعام المقدم. لحوم مسلوقة وشورية وكباب وكفتة وطواجن من الأرز المعمر. والأهم أن المائدة داخل سرادق كبير جدا بحيث لا يري من بداخلها أحد. وكيف أن المرشح أحيانا ينضم إلي ضيوف الرحمن هؤلاء فيأكل معهم. إلا أنه رغم ماسمع لم يجد في نفسه الرغبة في الذهاب. مضى أكثر من عشرين يوما الآن من الشهر الكريم وهو يتنقل بين الموائد، وكلها تقدم الخضار واللحم حتي عافت نفسه الخضار واللحوم. لماذا لا يقدم أحد الأسماك في مائدته. اليوم عرف أن مطعم «سي جل» بالمكس قد أقام مائدة منذ أول رمضان. أحس بالأسف لأنه لم يعرف، لكن فليذهب إليه. هو يعرف مكان المطعم وإن لم يدخله أبدا من قبل. هو في الحقيقة من هواة موائد الرحمن، ليس عن حاجة شديدة. ولكن لأنه يعيش وحيدا بعد أن طلق زوجته منذ عامين. هو موظف في إدارة شركة باتا للأحذية بالقباري. يختار منذ رمضان العام الماضي موائد شرق المدينة حيث لا يمكن أن يعرفه أحد. «سي جل» غرب المدينة، لكنه أيضا بعيد عن بيته بما يكفي حيث يسكن في منطقة المفروزة قرب عمله. إذن فليؤجل مائدة عضو مجلس الشعب التي هي ليست إلا رشوة مقنعة لانتخابه.

قبل مدفع الإفطار بساعة، كان قد انتهى من ارتداء أفخر ملابسه، ووقف ينظر في المرآة. بدلة انيقة لكنها موضة قديمة. لا بأس. المهم الكرافتة الحمراء التي ستعطيه فخامة فوق القميص الأبيض، وأخذ طريقه الي سي جل. ركب الأوتوبيس المتجه إلي العجمي، ونزل منه عند شركة بترول المكس. سيمشي قليلا حتي سي جل. كانت ثلث ساعة تقريبا قد بقيت علي مدفع الإفطار. في الطريق إلي المطعم القائم علي البحر، نظر الي بعض المقتنيات القديمة أمامه، مثل الترام القديم والمدفع القديم، وراح يسترجع ما سمعه كثيرا عن المطعم الذي أكل فيه الملك فاروق وفنانو مصر الكبار وقادة الحرب العالمية الثانية. دخل إلي المطعم فوجد المناضد كلها تقريبا ممتلئة بالبشر. «ياه كل دول زي حالاتي» وقف مترددا ومرتبكا فتقدم منه نادل في زي فخيم وقال «اتفضل» مشي وراءه حتي ركن بعيد حيث منضدة صغيرة تسع شخصين، وأشار له بالجلوس فجلس وقال النادل:

- معلش حضرتك اتأخرت كثير. مافيش غير المكان الصغير ده. بس برضه بيطل علي البحر.

قال في سرعة ورضا:

- لا دا حلو أوي حد طایل!

ارتبك النادل للحظة من طريقة كلامه، ثم ابتسم وقدم له المنير - قائمة الطعام - التي علي المنضدة وقال:

- حضرتك ممكن تختار بس الوقت ضيق يعني، فياريت تسبيني اختار لحضرتك.

- أيوة عليك نور اختار أنت.

ارتبك النادل من جديد، ثم عاد يبتسم، وجلس هو ينظر حوله. وجوه لامعة من البشر تكاد تكون حمراء. نساء جميلات. رائحة البارفان تملأ الجو حوله. مائدة رحمن؟ معقول؟ لكن هو ده المطعم. ليس هناك إلا سي جل واحد في الإسكندرية..

حضر نادل آخر بسرعة حاملا كوبا من عصير قمر الدين، وطبقا من الخشاف، وزجاجة ماء معدنية، وكوبا كبيرا. وبعده بسرعة نادل آخر يحمل السلطات والمخلل وبابا غنوج وطحينة وأنواع غريبة لا يعرفها من المشهيات. ثم جاء النادل الأول يحمل صينية عليها ثلاثة أطباق، في أحدها سمكة بوري كبيرة، وفي الآخر جمبري مشوي كبير، وفي الثالث كاليماري مشوي، وطبقا من الأرز الأحمر المحشو بالجمبري، وسلطانية من الشورية يظهر منها أطراف من الكابوريا و قطع الكاليماري والجمبري. وضع كل ذلك أمامه وقال:

— آسف جدا. بعد كده حضرتك تيجي بدري علشان تلحق الدنيس والميلاس.

— هه. آه طبعا طبعا. دا أنا بكرة حاجي من العصر.

وانصرف النادل مبتسما وزادت حيرته هو من هذا الجو البديع حوله، ولكن انطلق مدفع الإفطار وارتفع الأذان من شاشة التليفزيون المعلقة علي الحائط، وانخرط الجميع في الأكل، وحط عليهم الصمت. راح هو يأكل علي مهل غير مصدق الهناء الذي يشعر به. وقال في نفسه الحمد لله. بلا مجلس شعب بلا نيلة. وأشار للنادل الذي كان قد اختفي ثم ظهر هو وزملاؤه يرفعون الأطباق.

قال النادل:

- الحلو متوفر. فيه كل حاجة.

ارتبك وقال:

- اختار لي انت برضه. النهاردة كله بتاعك.

ابتسم النادل وهز رأسه مستغربا، واختفي ليعود ومعه طبقا بالحلويات.

- شكرا.

قال ذلك وبسرعة التهم مافي الطبق. ثم أشار إلي النادل من جديد، فهز النادل رأسه من بعيد.

كان هويريد أن يسأل النادل هل لو جاء مبكرا حقا سيجد المياس والجمبري، لكن النادل فهم من إشارته إنه يطلب الحساب. لحظات وتقدم النادل إليه ووضع الحافظة الجلدية السوداء أمامه.

- إيه دي؟

- الحساب يافندم. كنت تحب تشرب قهوة والا شاي الأول قبل

الحساب؟

فتح الحافظة فوجد فاتورة صغيرة جدا أمسك بها وقال:

- حساب ايه؟

- حساب الفطار يافندم. متين خمسة وسبعين جنيه بس.

ارتبك وارتعشت مفاصله، انفجرت مسام وجهه وجسمه كله بالعرق، وقال بصوت مبحوح لا يكاد يخرج.

- هيا دي مش مائدة رحمن؟

ارتبك كل من في المطعم والنادل يمسك به من كتفه، وينادي زملاءه صارخا فيهم أن يأتوا بسرعة.

مشي معهم وهم يمسكون بكل مكان من ذراعيه وبدلته، والمدير الذي يجلس بعيدا جدا يراقب الموقف ويرى دهشة الزبائن علا صوته وقال: - سيوه. إتفضل هنا.

وعرفت القصة بسرعة وانطلقت الضحكات بين الزبائن، كما ظهرت علامات الشفقة علي بعضهم. نظر اليه المدير وإلي ملابسه، ثم إلي النادل وزملائه، وقال بهدوء:

- دا شكل زبون لسي جل؟. وبعدين أنا شا يفه داخل قبل المدفع بربع ساعة، يبقى ده يعرف يعني إيه مطعم سمك. إتفضل يا استاذ رَوَح. مائدة الرحمن ورا المطعم. هنا المطعم نفسه. ثم نظر لعماله وقال:

- وتمن الوجبة حاخصموا منكم. أسرع هو خارجا لا يصدق.

رسائل الحشاق

علي شاطي المكس صندوق بريد صغير معلق علي الحائط عند كازينو زفير، كلما مررت به تذكرت قصة الحب الضائع. جرت وقائع الحكاية منذ أكثر من أربعين سنة. كان يمكن أن أنسي القصة كما ينسي العشاق، خاصة وأني تزوجت وصار أبنائي شبابا. لكن ما رأيته منذ أربعين سنة لا يمكن أن أنساه. تقابلت عام ١٩٦٦ مع فتاة من أسوان. كان اللقاء في أحد معسكرات الشباب. كان اسمها رقية. كانت سمراء واسعة عينها، دقيقة ملامح وجهها. لم يبح أي منا بحبه للآخر. لكن بعد أن عدت من معسكر الشباب في حلوان تلقيت منها خطابا. لم يكن مرّ إسبوع علي فراقنا. لقد تبادلنا العناوين لأنه لم يكن في بيت أسرتي تليفون. كانت الرسالة داخل الخطاب معطرة لأنها وضعت بينها زهرة من القرنفل. كان خطها جميلا وصغير الحروف. قالت لي في الخطاب بلغة عربية جميلة « هل لك أن تأتي إلي أسوان في زيارة وتزل في فندق كاتاراكت الجميل » لقد أبدت استعدادا حقيقيا أن تعزمني في الفندق. كان والدها أحد المهندسين الكبار في مشروع السد العالي. أرسلت لها خطابا يحمل مشاعري الجميلة نحوها. جاءني بعد إسبوعين خطاب آخر تصف لي فيه سحر مدينة أسوان. سحر النيل وجزيرة النباتات وغيرها من معالم المدينة. أرسلت إليها خطابا أيضا أرد عليها ضمته كثيرا من مشاعر الحب. وتلقيت خطابا آخر تعيد عليّ فيه أيام معسكر الشباب وكم كانت جميلة. لاحظت أنها في أي خطاب لاترد

علي خطاباتي ولا تأتي علي ذكرها. هل لا تصل خطاباتي إليها؟ أنا أضعها في الصندوق الخشبي الوحيد في المنطقة. أرسلت إليها خطابا أسأها عن ذلك. لكن رسالتها التالية تأخرت كثيرا. ثم لم تعد تأتيني رسائل منها. في ذلك الوقت كان كازينو زفير مغلقا. وكانت هناك محطة سكة حديد مهجورة في المكس نادرا ما رأيت قطارا يأتي إليها، وكان دائما إذا جاء يكون قطار بضائع. حتي جاءني صديقي إسماعيل عبد السلام الذي يسكن وأسرته معنا في نفس البيت، وطلب مني أن نخرج قليلا قبل مدفع الإفطار نجلس علي الشاطئ. كان الطلب غريبا فنحن في ديسمبر والجو شتاء. كان الشتاء ذلك الوقت حقيقيا وليس كما هو الآن. لم يكن هناك احتباس حراري في العالم يزيد من درجة حرارته، ولم تكن الحكومات المصرية الجاهلة قد ردمت بحيرات مصر العظمي وعلي رأسها طبعاً بحيرة مريوط. بحيرة مدينتي الاسكندرية، فازدادت البلاد احتباسا علي احتباس. حرارة علي حرارة. وضاع شتاؤها. خرجت مع إسماعيل الذي كان حزينا جدا. وحكي لي قصة حبه الضائع. هو يحب سميرة ابنة خالته في طنطا. لكنها لم تعد ترد علي رسائله. وخالته جاءت أمس لتعزمهم علي زواج سميرة. كانت خالته وهي تتكلم عن العريس لا تبعد نظرها عنه كأنها تلومه علي عدم زواجه من سميرة. هي تعرف أنها تحبه وتعرف أنها أرسلت إليه كثيرا من الرسائل. لقد توقفت سميرة عن التعليم بعد الإعدادية لأنها طاغية الجمال، ولم يكن يمكن لأبيها الريفي أن يترك هذا الجسد الجامح يمشي في الطرقات.

لم يشترك أبدا في الحديث مع خالته. كل ما قاله إنه اعتذر عن الذهاب مع أسرته إلي الفرح. كان متأثرا جدا من ضياع حبه الأول. ومندهشا

جدا من أن سميرة لم تذكر له أبدا في خطاباتها أنه وصلها خطاب منه. لقد توقفت عن مراسلته بعد الخطاب الخامس. وقالت أمها ذلك بوضوح لأنه اليوم بعد أن ظلت أمس لا تشير إليه. أخذنا الكلام والألم حتي انطلق مدفع الإفطار ولم نشعر. رأينا الدنيا خالية حولنا من كل البشر، وسمعنا صوت المؤذن يأتي من بعيد. قلت:

– نذهب للإفطار.

قمت اقف وقام معي، لكننا رأينا طفلين صغيرين لا يزيد عمر أكبرهما عن العاشرة يقتربان من صندوق البريد. نظرنا ناحيتهما فوجدنا أحدهما يضع «مفك» في جانب باب صندوق البريد الخشبي ويفتحه بسهولة. تبادلنا النظر. إندهشنا جدا. «يا اولاد الإيه. جاين ساعة الفطار علشان ماحدش يشوفهم» قال اسماعيل ذلك ثم صرخ فيهما:

– ولد. تعالي هنا انت وهو.

كان الذي فتح الصندوق يحمل عددا من الخطابات في يده. تقدم إلينا مرتبكا خائفا وزميله جواره أكثر ارتباكاً. قال حامل الخطابات بعد أن اقتربا منا.

– معلش والنبي. مش قصدنا حاجة.

سألتهما:

– انتم بتعملوا كده من زمان؟

– الولد أحمد بن عم جابر الصياد هو اللي علمنا كده. قال لنا إن الجوابات دايماً عليها أسماء بنات. بنجيها له يقرأها ويكتب زيها لبنت المعلم زيدان.

تبادلنا أنا واسماعيل النظر في دهشة. كدت أنا أضحك في الحقيقة.

سألها إسماعيل:

- وهو عرف منين الكلام ده؟

- مش عارفين بس هو دايمًا يعمل كده. آه والله.

قال إسماعيل:

- وريني الجوابات.

مد الولد يديه بالخطابات وهو يرتعش. نظر فيها إسماعيل وأعطاهما لي.

كلها مرسلة إلي بنات حقا.

قلت للولدين:

- خلاص امشوا وماتعملوش كده تاني. اللي بتعملوه عيب وحرام

كمان. ياللا من قدامي.

جري الولدان وبقينا أنا وإسماعيل ينظر كل منا إلي الآخر. ماذا يمكن

أن نفعل الآن؟ لو أعدنا الخطابات للصندوق البريدي سيعود الأولاد

ويأخذونها. لو بحثنا عن أصحابها وخاصة أن علي بعضها اسم الراسل،

ربما نبدو نعرف سرا لا يريد صاحبه أن نعرفه.

قال إسماعيل في أسف:

- هكذا ضاعت سميرة.

قلت وأنا أهز رأسي:

- وهكذا ضاعت رقية.

زاد علي وجهه الأسف الذي ما لبث أن صار غيظا، وأمسك بكل

الخطابات وقفز من سور الكورنيش المنخفض إلي الرمال، والقي

الخطابات كلها في الماء.

- ماذا فعلت؟ يامجنون.

عاد قافزا إلى الشارع جواري لكني لم أعد منتبها إليه. كنت أنظر إلى الموج الذي عاد إلي الداخل ساحبا الخطابات معه، والأسف يزداد علي وجهي. لكن فجأة عاد الموج إلي الشاطئ حاملا الخطابات وقبل ان تستقر علي الرمال انفتحت وهي أعلي ذؤابات الموج، وخرجت من داخلها الرسائل تطير عاليا في الفضاء، وتتجه كل رسالة إلي ناحية في البلاد. رحت أرفع رأسي إلي السماء أري الرسائل تتفرق تحتها، وهو بدوره راح يفعل ذلك ولا يصدق ما يراه. تماما مثلي الذي لا يصدق ما يجري حتي اليوم. ليتهم ألقوا رسائلنا في الماء.

شارع الملك

لم يكن قد غادر أهله من قبل إلا للجندية. أمضي في الجيش سبع سنوات حضر فيها حرب الاستنزاف كلها وحرب أكتوبر. تأخرت موهبته الشعرية في الظهور إلي الناس. لكنه كان علي فترات متباعدة يرسل قصيدة إلي جريدة المساء أو مجلة الهلال فيجدها منشورة بعد ذلك. إطمأن إلي أنه حين يترك الجيش ويجد عملا في القاهرة سيجد فيها من يتآلف معهم من الأدباء وسيذغ نجمه. سكن في شارع الشيخ الأجهوري بمحذاق القبة وعمل في الشهر العقاري ومضت الأيام طيبة. علي المقاهي لا تنقطع المناقشات الأدبية واحتجاجات الأدباء علي سياسة الرئيس السادات واتفاقية كامب ديفيد. بدا له الوقت غير كاف خاصة إنه في شفته يمر عليه الكثير جدا من الأصدقاء من الشعراء وكتاب القصة. كان يعاني من قلة الوقت المتاحة له للقراءة والكتابة لكثرة الكتاب الصعاليك وسهولة زيارته. أتى شهر رمضان. الضابطان اللذان يسكنان في الغرفتين الأخريين بالشقة لا يزالان متغيبان. سيأتيان مرة أو مرتين ويعودان إلي وحدائهما في الجيش كما تعود منهما منذ سكن. راح يعد طعام الإفطار بحماس. ويغني مع أغاني الراديو متوقعا أن يمر عليه أحد. لم يأت أحد. وضع الطعام أمامه علي السفرة الصغيرة وجلس متهيتا لسماع مدفع الإفطار من الراديو. صمت كبير عميق شمل الدنيا من حوله. لماذا حقا لم يذهب الي المنصورة ليكون بين أهله هذا اليوم الأول من رمضان. في الجيش كانت الحركة كثيرة حوله

قبل الإفطار وبعده تشغله عن ذكرى أهله. اليوم لا أحد. فتح نافذة غرفته وأطل على الشارع. لا أحد. صوت القرآن الكريم فقط يهدد الروح. إنطلق المدفع وأكل لكنه لم يشعر بطعم الطعام. لم يسمع دعوة أبيه له بالصحة والنجاح وطول العمر. لم تقدم له أمه نصيبه من الدجاج أو البط وتدعو له بالهناء. لم يقل أخيه الأكبر نكتة كما تعود عن بعض أصحابه. لن تقدم له اخته بعد الإفطار طبق المهلبية أو الكنافة. لا جنود حوله يثيرون الصخب. الآن كل أصحابه في بيوتهم. من المؤكد أنهم سيظهرون بالليل. لكنه الآن ولا أحد. لم يستطع الجلوس. انتهى بسرعة من الطعام. الذي لم يشعر بطعمه. ارتدى ملابسه بسرعة ونزل من البيت. المسافة قريبة من شارع الملك. شارع مصر والسودان الذي لا يزال الناس يسمونه بشارع الملك. هل هذا اسمه القديم أولاً لأنه ينتهي عند قصر القبة؟ دقيقة أو اثنتين وكان في الشارع. الشارع طويل من الناحيتين. طويل كأن لا نهاية له من أي جهة. طويل يملأه الصمت والفراغ رغم أنه بالنهار يعج بالحركة والبشر. المحلات كلها مغلقة كأنها لم تكن موجودة في الصباح. إلى أين يتجه. يسارا في اتجاه قصر القبة أم يمينا في اتجاه دير الملاك؟ يمينا حتي إذا وصل إلي محطة الدمرداش يكون المترو قد عاد للعمل بعد راحة الإفطار، فيأخذه إلي ميدان التحرير، ويكون الناس قد ملأوا الشوارع. لكنه قرر إذا وجد مقهي يجلس فيها. أجل. لابد أن يكون في المقهي أحد. يشرب شايه فيها معه. بعد قليل وجد مقهي علي اليسار فدخلها. كان إثنان يتناولان إفطارهما ولم ينتهيا بعد. واضح أنهما يعملان بالمقهي. كان أمامهما صينية من البطاطس واللحم وأطباق من الأرز والسلطة والمخلل. إنتها إلي دخوله. قال أحدهما ضاحكا:

- معلىش. حنكمل فطار بس. كان زمانا خلصنا والله بس تعمل إيه في البيه اللي صمم يعمل صينية بطاطس في القرن.
كان يشير إلي زميله الذي يأكل معه ويضحك والطعام في فمه فيهتز جسمه. ابتسم هو وقال:

- بالهنا والشفاف.

قال الذي كان يضحك والطعام في فمه:

- حضرتك فطرت؟

- الحمد لله.

- حضرتك بتاكل بسرعة أوي.

سكت مبتسما ولم يرد فعاد الأول يتكلم:

- علي فكرة حضرتك ما فطرتش. ياريت تيجي تاكل معنا.

- صدقني فطرت. أنا داخل القهوة علشان أشرب شاي.

- معلىش. أنا والله عندي نظر. حضرتك ما فطرتش. اتفضل معنا

ما تكسفش.

نظر إليه نظرة عميقة ووجد نفسه يقوم من مكانه ويجلس معهما

ويقول:

- أنا فعلا ما فطرتش.

قدم أحدهما ناحيته صينية البطاطس وقال:

- اعتبر الصينية كلها بتاعتك. بالهنا والشفاف.

وراح الآخر يغرف له الارز في طبق فارغ وبكمية كبيرة ويقول:

- لعلمك بأه أنا أحسن واحد يعمل رز في مصر.

وانهمكوا في الأكل لحظات، وفجأة نظر إليه أحدهما في دهشة.

- ياه حضرتك بتعيط؟
- مسح براحته دمعا خفيفا بدأ يترقق في عينيه وقال:
- بالعكس. أنا فرحان أوي.

مضیوف غیر عادیین

عندما وجد إيجار الشقة رخيصة لم يصدق، لكن السمسار قال له:

- تقدر تسكن ببلاش كمان!

- ازاي يعني؟

- بصراحة البيت كله فاضي. البيت ثلاث أدوار زي ما انت شايف.

وفي كل دور شقتين. وكل أصحاب الشقق هجروها.

- عجيب. طيب ليه؟

- حاقول لك زي ماقلت لغيرك. لعلم حضرتك أصحاب الشقق

قالوا لي ما اتكلمش بس أنا باخاف من ربنا.

- انت غريب أوي. هو فيه إيه؟

- البيت دا مسكون. هي شقة واحدة اللي حصلت فيها جريمة القتل.

الشقة البحري اللي في الدور الأخير. لكن بعدها كل السكان مشيوا

من البيت.

- خافوا؟

إرتبك السمسار ثم قال:

- برضه مش حاكذب عليك. كلهم قالوا إنهم شافوا عفاريت.

إنطلق يضحك. معقول؟ فكر متعجبا. منذ طفولته يسمع كلاما من

هذا النوع، لكنه لم ير هذه العفاريت أبدا. سمع حكايات كثيرة عمن

رأوا العفاريت. لكنه لم ير أصحاب هذه الحكايات. هو قادم من الريف

المليئ بهذه القصص إلى القاهرة المليئة بالزحام. أي عفاريت تعيش بين

زحام القاهرة! وشقة رخيصة ومفروشة في هذا الزمن شيء لا ينبغي التفریط فيه. لكنه تردد قليلا وقال:

- طيب انت قلت ده لكل اللي جم يسكنوا و ماحدث سكن؟

- اتين. بس ماطولوش. والكلام ده من سنة.

ثم رفع السمسار صوته وقال:

- شوف يا أستاذ ممكن تجرب. واحنا داخلين علي رمضان. في رمضان

الشياطين بتتنجس. صح. جرب شهر كده. يمكن بعده العفاريت تنكسف منك والا حاجة.

وانطلق السمسار يضحك وبدوره ضحك معه. قال:

- الشياطين غير العفاريت يا ريس. لكن اتكلنا علي الله. بس ناخذ

شقة غير اللي حصلت فيها جريمة القتل.

- وهو كذلك.

قال السمسار ثم دخل به إلي شقة في الدور الأول.

- خليك هنا علشان تبقي قريب من الشارع.

هز راسه ساخرا، ونظر إلي الشقة التي راقته جدا في اتساع حجراتها

الثلاثة وصالتها ومطبخها وحماميها. كتب معه في الشقة عقد الإيجار

وهما يجلسان الي السفرة. قال:

- أثاث الشقة جميل.

قال السمسار:

- دي أصلا بتاعة صاحب البيت. أستاذ في الجامعة.

انتهيا من كتابة العقد وأخذ السمسار ما اتفقا عليه من اجرة وأتعاب

وخرج. وضع هو ملابسه التي يحملها في حقيبة كبيرة معه في دولاب

غرفة النوم. الحقيقة إنه تجول في الغرف غير عابى بأي شىء، وقرر أن يمضي فيها أطول وقت ممكن تحديا لما قيل. وهكذا قرر أن لا يسهر كثيرا في الخارج.

مضت الليلة عادية جدا إذ ظل أكثر الوقت يتابع التلفزيون حتى نام. ومَرَّت الأيام التالية عادية أيضا. صحيح أنه كان يسمع أحيانا طقطقة من ناحية المطبخ، لكنه لم يهتم. صحيح أنه كان يغلق نافذة غرفة النوم وينام ليصبح يجدها مفتوحة، لكنه لم يهتم. ربما لم يغلقها جيدا. والآن صار في رمضان ففضل أن يتناول إفطاره في الخارج في أي مطعم وسط الناس. يعرف صعوبة الوحدة في رمضان ساعة الإفطار. طالما سمع أبوه يتحدث بذلك لأمه عن أيام شبابه حين سافر ليعمل في دولة عربية في السبعينيات من القرن الماضي وكان يعيش وحده. في منتصف الشهر كان تقريبا قد نسي مقاله السمسار، وزادت سعادته بالأجرة الرخيصة للشقة الفاخرة. قرر أن يفطر في الشقة. أنفق كثيرا من نقوده في المطاعم. قرر أن يطبخ ويوفر. اشترى كيلو لحم ودجاجة وبطاطس وطماطم وخيار وقمر الدين وغير ذلك مما يمكن له أن يطهوه أو يصنعه. قبل مدفع الإفطار بساعتين بدأ يطهو طعامه. صينية بطاطس باللحم تكفيه أكثر من يوم. وسلاطة ليوم واحد وعصير لأكثر من يوم وأرز لأكثر من يوم. بدا سعيدا جدا بهذا الإنجاز. قبل مدفع الإفطار بعشر دقائق راح ينقل الأطباق إلى السفرة. أول ما نقل كان طبقا من البطاطس باللحم. عاد إلى المطبخ وملاً طبقا بالأرز، وذهب به إلى الصالة ووضع علي السفرة جوار طبق البطاطس، فانتبه إلى أن طبق البطاطس غير موجود. إرتبك واتسعت عيناه دهشة. ترك طبق الأرز وعاد بهدوء إلى

المطبخ فوجد طبق البطاطس كما هو في المطبخ لم ينقله. وقف حائرا. هل يمكن أن ينسي بهذه السرعة. هز رأسه وأخذ طبق البطاطس من جديد وعاد ليضعه علي السفرة فوجد طبق الأرز في مكانه. إذن هو لم ينقل إلي السفرة من قبل طبق البطاطس. عاد مبتسما إلي المطبخ وحمل طبق السلطة وذهب به إلي الصالة. كل شيء في مكانه. الحمد لله. قال فاتحا كفيه أمامه. لكنه لم يجد زجاجة العصير التي أعدها. هل نقلها من قبل إلي الصالة. لم يحدث. ربما حدث. هو مرتبك قليلا فاقد الذاكرة ألي حد ما من أثر الصيام في هذا الجو الحار. خرج إلي الصالة فوجد زجاجة العصير وثلاثة أكواب جوارها. لماذا ثلاثة أكواب؟ هو وحده ولا يمكن أن ينقلها جميعا، مط شفتيه وهز حاجبيه. لا يجب أن يخاف. ربما وضع الأكواب كلها من قبل. أمس مثلا وأول أمس هو يعمل علي اللاب توب يدخل علي الفيسبوك وغيره ويمضي وقته. أكيد كانت هناك زجاجة ماء بارد حملها من قبل إلي المطبخ بعد أن فرغت، ولم يحمل الأكواب. إنه يشرب الماء كثيرا في هذا الجو، ويحمل الزجاجة بعد أن تفرغ ليملاها ويضعها في التلاجة مع أخواتها، وحين يأتي بها مرة أخرى يحمل دائما معها كوبا ولا ينتبه الي الكوب الذي تركه من قبل. ربما. ليس لديه وقت طويل ليفكر أكثر من ذلك. بقت دقائق الآن علي مدفع الإفطار. هكذا فكر حين نظر إلي ساعته. إنتبه إلي أن التلفزيون علي قناة عربية. ذهب إليه وحوله إلي القناة المصرية. في نفس اللحظة انطلق مدفع الإفطار. التفت يعود الي السفرة فوجد قطان كبيرا الحجم، أحدهما اسود والثاني أصفر، يجلسان إليها ويمسك كل منهما كوبا في يده، وينظران إليه بعيون حمراء واسعة. لقد تركا له الكوب الثالث وكانا أيضا يتسلمان!

صومکم مقبول

صعد بسيارته أعلي كوبري إكتوبر من الدقي. بقيت ساعة علي مدفع الإفطار. يستطيع فيها أن يصل الي بيته في حدائق القبة مرتاحا. هو الآن يقترب من ميدان التحرير. لا يعرف لماذا فكر أن السيارة يمكن أن تعطل فجأة فيتأخر في الإفطار مع أسرته. ماكاد يفكر في ذلك وبيتسم من هواجسه الغريبة، حتي أبطأت السيارة من سيرها واهتزت أكثر من مرة. إتجه الي جانب الكوبري وتوقف متضايقا من نفسه. ما الذي جعله يفكر في تعطل السيارة حقا؟ بدا لنفسه أنه السبب، وأن السيارة استجابت لأفكاره. لمح أمامه من بعيد رجلين يقفان جوار موتوسيكل، ثم رآهما يركبان الموتوسيكل ويصلان اليه. كانا يرتديان ملابس قديمة. كل منهما يرتدي بنطلون وقميص قديم وحذاء قديم أيضا. احدهما طويل نحيل والآخر قصير ممتلئ. كانت السيارات قبل صعودها إلي الكوبري من الدقي قد توقفت كثير في انتظار مرور أحد الوزراء. كان الجميع في ضيق شديد من اختيار الوزير أو أي مسؤول هذا الموعد للمرور من فوق الكوبري. تقريبا ضاع صياح الصائمين من فرط ما أظهروه أو أبطنوه من لعنات. بعد أن فتح الطريق أسرع الجميع وكان هو من البداية في الصفوف الأخيرة لذلك صار علي الكوبري متأخرا أيضا. حين رأي الرجلين يتجهان إليه فكر أنهما من عناصر أمن الدولة، أو المباحث العامة المتنكرة التي تتواجد في مثل هذه الحالات. وربما كانا ستركان المكان لولا أنهم رأوه. لكن ماذا سيريّدون منه الآن حقا وقد

مرّ موكب الوزير؟ هز رأسه نافضا وسأوسه القهرية هذه. وسمعهما يسألانه:

- العربية اتعطلت؟

- أيوة.

- مش عارف السبب؟.

- لا. أنا ما افهمش في الميكانيكا. كمان أنا شاربيها جديد. من ثلاث

شهور بس، ويادوبك باعرف اسوق.

- احنا ميكانيكية. بنقف علي الكوبري علشان لو فيه حاجة زي كده

نصلحها. بناكل عيش يعني.

إنتبه أنه لم يرهما من قبل علي الكوبري. لكن بسرعة طرد أي شك

فيهما من رأسه من جديد.

دخل الطويل السيارة وحاول إدارقها فلم تدر. كرر ذلك أكثر من

مرة فهتف فيه:

- بلاش ليكون سير الكتينة انقطع. كده العربية تبوظ.

ابتسم القصير وقال:

- طيب ما حضرتك بتعرف ميكانيكا.

قال:

- ابدأ. دي معلومات يعني سمعتها قبل كده.

فتح الطويل كبوت السيارة ونظر فيها دقائق وقال:

- كل حاجة تمام. سير الموتور وسير الدينامو.

نزل القصير أسفل السيارة ونام تحتها لحظات وخرج يقول:

- طلمبة البرين. لازم تتغير.

نظر هو في ساعته وقال:

- طيب حنلاقي حد فاتح دلوقتي نشترى منه؟

قال القصير:

- إحنا عندنا في الدكان بتاعنا كل حاجة. الدكان قريب من هنا في شارع شامبليون. جنب السفارة الإيطالية. حاروح أجيب لك ظلمة بژين.

وركب الموتوسيكل وأسرع بعد أن أخذ منه مائة جنيه.

وقف هو ينظر في ساعته. قال الطويل:

- لسة ساعة إلا ربيع علي المدفع. إن شاء الله حتلحق الفطار. حضرتك رايح فين؟

- حدايق القبة.

- لا قرية. عشر دقائق ويمكن خمسة علي الكوبري.

بعد حوالي ربع ساعة عاد القصير. كان هو قد فكر فجأة أن السفارة الإيطالية في جاردن سيتي. سال القصير بعد عودته:

- بتقول دكانكم جنب السفارة الإيطالية في شامبليون. السفارة الإيطالية في جاردن سيتي.

قال الطويل بسرعة:

- هو يقصد القنصلية. ليهم قنصلية قريب من دار القضاء العالي. سكت. لم يسمع عن هذه القنصلية من قبل لكن ربما كانت هناك حقًا. وراح القصير يعمل فأخرج الطلبة الأصلية للسيارة وأطلعه علي الطلبة الجديدة وقال:

- معلش. مالقيتش غير دي بتاعة الفيات بس تشتغل مع عربيتك.

كام شهر كده وتغيرها.

كان قد لاحظ أن القصير حين عاد بالموتوسيكل، عاد ومعه أيضا كيسا كبيرا من البلاستيك من محل كشري. ونزل القصير تحت السيارة وخرج ليقول له:

- إتفضل دور العربية.

دخل إلي السيارة وأدارها فدارت. بانت علي وجهه علامات الارتياح. أعطاه الطويل علبة كشري من الكيس وملعقة من البلاستيك وقال له:

- إن شاء الله حتلحق الفطار بس خد دي علشان تفتكرنا لو مالققتش. من باب الاحتياط يعني.

أخذها باسمًا وتقدم منه القصير بالطلبة القديمة وقال:

- لو حضرتك عايزها خدها بس يعني ماهاش لازمة تاني. قال له سعيد ا:

- خليها لكم. عايزين مني أي حاجة؟ قال القصير:

- عشرين جنيه بس لأن إحنا حنبيع الطلبة مع الخردة. تجيبها خمسة جنية. وكفاية اللي حضرتك دفعته.

أعطاهما عشرين جنيهًا وتحرك بالسيارة. انطلقا بالموتوسيكل وسبقاه واختفيا تماما عن الأبصار. عند ميدان رمسيس تعطلت السيارة من جديد.

ظل بها لمدة ساعة حتي عادت الحركة بعد الإفطار. وجد تاكسيا يسحبه إلي الميكانيكي الذي أخبره وهو يضحك بأنهما لصان وقع في

أيديهما مرة أحد زبائنه وأخذوا الدينامو نفسه، وأههما هكذا ترفقا به حين أخذوا ظلمية البترين، وأن الذي نام أسفل السيارة في البداية هو الذي قطع البترين عن السيارة حيث ضغط علي الخرطوم الرفيع القادم من التانك بالبترين إلى الموتور بمشبك معدني معه وخنقه، وفيما بعد نزل من جديد ونزع المشبك ومشى البترين في طريقه.

وقال الميكانيكي ضاحكا:

- عربيتك بالكثير شرقت. تلاقيك دست بترين كذا مرة من غير سبب.

إتسعت عيناه وضحك وقال:

- فعلا كنت متغاف من الانتظار للمسؤول الله لا يكسبه وتقريبا عملت كده.

أخذوا يضحكان معا وقال الميكانيكي.

- بس بصراحة كانوا ذوق أوي. ادولك علبة كشري فطرت بيها في العربية. يعني حللوا السرقة. وضحكا من جديد.

- لا وكمان وهو بيديني علبة الكشري قال لي صومكم مقبول.

فکر بخیر

دخل علي الفيس بوك كعادته فوجده مختلفا عن كل يوم. كل الصفحات يهنئ أصحابها بعضهم البعض بحلول رمضان الكريم. كتب علي صفحته قنينة لكل الاصدقاء لأنه لن يجد الوقت ليهنئهم كل علي حدة. الكلمات هي الكلمات كل عام منذ وعي إلي الدنيا قبل الفيس بوك والموبايل بكثير. كان يسمعها صغيرا وصار يقولها كبيرا. فقط وجد الناس الفرصة في التنكيت علي جملة «رمضان مبارك». الحقيقة أن هذا التنكيت بدأ منذ خمسة أو ستة أعوام قبل ثورة ٢٥ يناير. روح الدعابة عند المصريين راحت تسخر من الرئيس مبارك مع بداية كل عام جديد، أو حلول أحد الأعياد. «نفسى بأه استعمل كلمة غير مبارك دي. عيد مبارك. رمضان مبارك. هو ما فيش غير مبارك» وهكذا يرمي الكلام إلي ضرورة التغيير. تبادل السلطة الذي لم يعرفه المصريون منذ ثورة يوليو إلا بتدخل إلهي. لكن صديقة شابة من سوريا كتبت علي صفحتها «وأنت تعد إفطارك فكر بغيرك» المعني بسيط وواضح. أن تساهم في إطعام فقير أو ذي حاجة. لكنها فتحت باب الحزن إلي آخره. ترك الفيس بوك وترك مكتبته. ودخل إلي سريره لينام، لكنه ظل ينظر إلي سقف الحجرة حزينا حتي ظهرت خيوط الصباح فشده النوم إلي مملكته. استيقظ متأخرا في اليوم التالي ليجد زوجته قد تغيبت عن العمل. فالיום سيحضر عدد من أسرتها ليشاركوهم طعام الإفطار لأول أيام رمضان. عادة لم تنقطع منذ سنوات. جلس هو قليلا أمام التلفزيون واندesh من

كونه أيضا لم يذهب إلي العمل ونام كل هذا النوم، رغم إنه لن ينشغل بالمطبخ وإعداد الطعام مثلها. تذكر ما سبب له الألم ولاحظت هي كثرة قيامه وجلوسه. تردده بين الصلاة حيث التلفزيون وغرفة النوم. كان إذا دخل الغرفة سقط فورا في النوم من جديد لدقائق و سرعان ما يستيقظ ليذهب إلي الصلاة التي ما يلبث أن يتركها. لاحظت أنه لا يرد علي الموبايل الذي لم يتوقف تقريبا عن الدق طول النهار. قالت له:

- مالك. ليه ما بتردش علي الموبايل؟

نظر اليها وقال:

- هو بيرن؟

- يالهوي يا محمد دا ما بيبطلش رن. إقفله أحسن إذا كنتش عايز ترد.

- لا خليه. يمكن حد محتاجني في حاجة.

- طيب إبقى رد والا أرد أنا؟ أقول نايم، المهم إذا كان فيه حاجة مهمة أقول لك عليها.

- زي بعضه. إبقى ردي انتي.

وتركها وذهب إلي غرفة النوم من جديد. ترددت قليلا ودخلت خلفه. وجدته قد دخل في النوم في الحال.

- يالهوي. لحقت نمت؟

وهزته برفق.

- محمد. محمد.

إستيقظ.

- حفضل طول النهار نايم كده. وبعدين انت بتنام في ثانية. إيه

الحكاية؟

نظر إليها مبتسما ابتسامة رقيقة، ولا حظت شحوبا مفاجئا في وجهه.

- مالك يا حبيبي. دا احنا لسة في أول يوم. وشك أصفر خالص.

- ما تخافيش أنا كويس.

- باقول لك إيه. إن الله يأمركم أن تؤدوا رخصه كما تؤدوا فرائضه.

يعني إذا كان الصيام حيسبب لك هبوط في الدم افطر واطعم اتنين كل يوم وخالص.

هز رأسه وقال:

- ماهي دي المشكلة.

- ما فيش مشكلة إحنا ربنا ساترها معانا. مش مهم عشرين ثلاثين جنيه في اليوم.

- لا. قصدي هي دي المشكلة معايا من امبارح. واحدة سورية كتبت

علي الفيس بوك، وأنت تعد إفطارك فكر في غيرك.

نظرت إليه في دهشة فاستمر يتحدث:

- من امبارح عمال أفكر في غيري. من امبارح عمال افتكروا. أنا

شفت ناس كتير أوي فقرا. وعشت بين الفقرا والمستورين. أنا ساعدت

ناس كتير أوي في حياتي. لكن لسة فيه ناس كتير عايزة المساعدة.

قالت في دهشة شديدة وخوف.

- سلامتك يا محمد. جري لك إيه. بلاش النيلة الفيس بوك ده في

رمضان. ما احنا عارفين إن في رمضان الواحد يساعد علي قد ما يقدر.

لكن حتقعد تفكر في الغلابة اللي في البلد مش حنخلص. دا سبعين في

المية تحت خط الفقر. وبعدين ماهو الكلام ده بيتقال كل سنة. ومن غير فيس بوك.

ونظرت اليه فوجدته شاردا في حزن فهتفت:

- الله اكبر.. بسم الله عليك يا حبيبي. إنت مش صغير علشان تتعب كده علشان الناس. وبعدين هي كتبت كده ليه. ما تشوف اللي حاصل عندهم. دا كل يوم مية ومتين قاتلهم بشار.
- ما تلوميهاش.

فكرت قليلا وقالت:

- هيا صاحبتك علي الفيس؟

- أيوة.

- اسمها إيه؟

- أمل سهيل.

- طيب أنا حادخل علي صفحتها وأقول لها ما تكتبش كده تاني.
أقول لك اشطبها من صجابتك.
ضحك وقال:

- هيا مش كاتباه ليا لوحدي.

- طيب خلاص ريمتني. ماتدخلش علي صفحتها. وبعدين يا حبيبي زي ما قلت لك الواحد لو فكر في اللي محتاجين لا حياكل ولا حيشرب.
- المصيبة إني طول عمري عارف كده. ما اعرفش إيه جوالي النهاردة.
مع إني بقالي كام يوم مبسوط خالص. من ساعة ما شفت مبارك ورجالته في القفص مزاجي حلو.
سكتت قليلا وقالت:

- عارف مين اللي محتاج دلوقت؟
- مين؟
- اقول لك وماتزعلش؟
- قولي.
- حسني مبارك.
نظر إليها مندهشا جدا فقالت:
- الواحد بيضيع منه عشرة جنيه بيتكد. دا ضاعت منه بلد.
ابتسم وهو يهز رأسه في حيرة.
- وكمان مش كان وزير الإعلام أنس الفقي هو اللي بيسنده رايح
جاي؟ دلوقتي دا في حنة ودا في حنة.
ظل ينظر إليها ولايرد فقالت:
- ياريت في سوريا يخلصوا ويجيوا بشار معاه. أهو صغير زي أنس
الفقي. بدأ يضحك بصوت غير مسموع ويهتز جسمه:
- ايوه يخطوهم في سجن واحد تبع الجامعة العربية ومعاهم القذافي
وعلي صالح. بس المصيبة القذافي مجنون وحياكل الأكل كله ويمكن
كمان يصرخ فيهم علي المدفع من أنتم؟
انطلق يضحك بلا توقف فقالت:
- أيوة كده اضحك وانبسط. رمضان كريم يا محمد يا حبيبي. ربنا ما
يحرمني من روحك الجميلة الحساسة دي. من زمان باقول لك دا مش
زمنك يا محمد. انت كنت عايز زمن أحسن من كده.. أدخل يا حبيبي
المطبخ معايا. فاضل ساعة علي المدفع والضيوف قربوا يوصلوا. واحمد
ربنا إنك ما طلعتش رئيس جمهورية!

فانطر رمضان

رغم إنه فاطر رمضان إلا أنه لا يظهر ذلك أمام الناس. يقول لنفسه دائما إذا بليتيم فاستروا. حتي في البيت لم يكن يحب أن يأكل شيئا أثناء النهار أمام زوجته وأولاده، رغم إنهم يعرفون جميعا إنه فاطر. لقد جرب أن يصوم مرة فانخفض ضغطه بشدة وكاد يسقط علي الأرض وهو ممسك برأسه الذي يكاد ينفجر، لولا أن زوجته لحقت به وأعطته أكثر من كوب من مشروب قمر الدين يشربه. كانت هذه المرة الوحيدة التي تناول فيها شيئا بالنهار أمام أسرته. بعد ذلك كانت تعطيهِ شيئا من الطعام حين ينفرد في إحدى الغرف ويكون الأولاد منشغلين بالتلفزيون، أو يكونوا في الخارج. ولما جاء رمضان في الصيف هذا العام ذهبوا جميعا الي المصيف. ذهب معهم إسبوعا وعاد وظلوا هم هناك فهم في الاجازة الصيفية للمدارس. إذن سيأكل في أي وقت يشاء. الأفضل أن يعود إلي طبيعته. يتناول في الصباح كوب الشاي بالحليب وساندوتش جبن صغير. فعل ذلك وعند موعد الغداء وجد نفسه غير جائع. بل وجد نفسه ينتظر مدفع الإفطار ليأكل. إذن صار أسير العادة رغم إنه فاطر للشهر. ثم أحس بفراغ كبير حوله. كيف حقا ترك الأولاد وعاد ليكون وحيدا في الشهر الكريم الذي هو شهر اللمة العائلية. لم يكن ممكنا أن يترك عمله أكثر من إسبوع ويظل معهم. وهم بالطبع لا ذنب لهم في حر القاهرة. إذن فليخرج من البيت. يذهب إلي إحدى المطاعم أو المقاهي. كان يعرف إنه لن يجد مطعما يقدم له طعاما

قبل الإفطار. لكن هناك بعض المقاهي تعمل في شهر رمضان..، وبالذات في «نص البلد». وهو لا يسكن بعيدا عن «نص البلد». كانت الساعة قد دخلت في الرابعة. إرتدي ملبسه وترك الشقة وحمله تاكسي إلى ميدان طلعت حرب. مشي فيه علّه يجد مقهى مفتوحا في نهايته. تذكر إنه كثيرا ما يشتري للبيت أسماكا من الجمعية التعاونية القريبة من منتصف شارع صبرى ابو علم. وتذكر أن خلفها عددا من المقاهي بعيدا عن الشارع العام، وقد تكون إحداها مفتوحة. وكما توقع بالضبط وجد أكثر من مقهى في الزقاق الواقع خلف الجمعية التعاونية مفتوحا. بل وجد مطعمما يبيع الساندوتشات، لكن تأقت نفسه إلى السمك. إشتري من الجمعية ربع كيلو جبري وطبق أرز، واشتري من امرأة تجلس على الرصيف رغيف خبز واحد ودخل إحدي المقاهي ليأكل ويشرب.

لم يكن بداخل المقهى الصغير غيره. الكل أمامها وكان جوار الباب رجل أربعيني يرتدي قميصا وبنطلونا ويدخن سيجارة ويشرب من الشاي. وجرسونات المقهى ثلاثة. واحد يتحرك بالطلبات وواحد خلف النصبه يعد الطلبات وواحد يكنس الأرض. أمام المقهى يجلس شاب وفتاة أجنبية. هي تدخن الشيشة وهو يدخن السجاير ويحتسي القهوة. علي الناحية الأخرى أكثر من شاب وفتاة يدخنون الشيشة ويغربون الشاي والقهوة والعصائر. كان واضحا من أعمارهم إنهم فنانين أو لهم بالفن صلة ما. لا أحد ممن حوله يأكل شيئا. هو إذن الذي سيأكل. أحس بالجوع بحق. لكنه تردد. هل يأكل هكذا أمام كل الناس. هو لم يشأ يأكل في بيته وهو وحده. ابتسم. كل الجالسين فاطرين مثله. ربما يشعر

بالخجل من كبر سنه. فهم في النهاية شباب به شئ من الطيش. ثم إنه يعرف أن مقاهي وسط البلد تمتلئ بالشباب من الكتاب والصحفيين والفنانين. وهؤلاء عادة يخرجون عن النص في بداية حياتهم رغم أنهم قد يكتبون غير ذلك. أجل. لقد قرأ يوما أن ما يكتبه الكتاب هو نتاج خبرة حياتهم. ولا خبرة مع حياة عادية. وقرأ مرة سيرة أحد الكتاب الكبار الذي أصبح الآن من مفكري الإخوان المسلمين، ووجد في سيرته إنه كان مقبلا علي المعاصي في شبابه حتي هداه الله في الكبر. لكن من قال له أن احدا ممن حوله يهتم بوجوده أو حتي يدرك إنه موجود. فقط هو الرجل الأربعيني الذي وقف ووضع أمامه علي المنضدة طفاية سجائر لأنه رآه يشعل سيجارة. إذن ينتهي من تدخين السيجارة ويأكل. أطفأ السيجارة وهو في منتصفها وفتح كيس الطعام وراح يأكل. أشار الرجل الأربعيني إلي أحد الجرسونات فتقدم إليه بكوب ماء بارد. إنتهي من الطعام وطلب شايا من الجرسون. لاحظ أن رائحة طهو بدأت تنتشر في المقهي. نظر إلي النصبه القريية فرأي خلفها علي البوتاجاز أواني طعام. إنهم يطهون طعاما هنا رغم أن المقهي ليست مطعما. ثم رأي الذي كان يكنس ينحني جانبا ويجلس أمام ترابيزة وحده يضع فوقها كمية كبيرة من الطماطم والخيار والجرجير ويبدأ في تقطيعها. واضح إنه يعد السلطة. لمن يفعل ذلك وكل من حوله يشرب شيئا أو يدخن؟ الجرسون الذي يعد السلطة يضع سيجارة في فمه، والذي يقف خلف النصبه يتابع الطهو وسيجارة أيضا في فمه، والرجل الأربعيني طلب قهوة يشربها بعد أن شرب الشاي، والجرسون الذي يتحرك بين الزبائن أيضا في فمه سيجارة. ربما يعدون مائدة رحمن صغيرة في الشارع. جلس

صامتا ورائحة الطعام تزداد. الساعة صارت السادسة. قرر أن لا يعود إلى البيت إلا متاخرا. سيظل هنا حتي بعد الإفطار بساعة، ثم يتحرك إلى بيته ويجلس مع بعض جيرانه في المقهي القريب. لكن الرجل الأربعيني قال له:

- ممكن حضرتك تقعد برة لو احنا حنضايك.

لم يفهم. إبتسم وقال:

- لا. هنا كويس.

سكت الرجل الأربعيني. تقدم الجرسون وبسرعة أزاح أربع تراييزات من أماكنها وجعلها صفا واحدا علي يساره. رتب حولها ثمان مقاعد، وفرشها بفرش نظيف. مائدة رحمن لثمانية، وداخل المقهي الصغير أمر غير متوقع! إنتهي الجرسون الثاني من عمل السلاطة ووزعها علي ثلاثة أطباق كبيرة، ثم أسرع بها ووضعها علي التراييزات. وساعده الجرسون الثاني بجلب زجاجة مشروب قمر الدين، وأخري خروب، ووضعهما فوق التراييزات، ثم ألحقهما بأكواب وزعها أمام المقاعد. كان صوت القرآن الكريم قد بدأ في التلفزيون الذي أمامه. دقائق وينطلق مدفع الإفطار. وقف الجرسونان أمام زميلهما الثالث الذي راح يغرف الطعام ويعطيها أطباق الأرز واللحمة والبازيلاء يوزعوها علي التراييزات. وقف الرجل الأربعيني وتقدم ليجلس علي أحد المقاعد. إنتهي الجرسونات الثلاثة وأقبلوا ليجلسوا بدورهم علي المقاعد. إنضم إليهم أربعة اشخاص آخرين بدا أنهم جرسونات المقهي المجاور.

- إرمي السيجارة بقي المدفع حيضرب.

قال أحدهم لزميله الذي وقف ليضع السيجارة بعد أن أطفأها في

طفاية قريبة. إنطلق مدفع الإفطار فراح الجميع يسمون بالله الرحيم في صمت. يعرف ذلك من تحرك شفاههم. قال له الرجل الأربعيني.

– اتفضل أفطر معانا.

– الحمد لله سبقتكم.

قال ذلك وجلس مندهشا. شمل الصمت الجميع حتي الشباب خارج المقهى، إلا من صوت الشيخ الطيلاوي الجميل يؤذن للمغرب. ومع دعاء الشيخ الشعراوي كانوا يأكلون. بان علي وجوه الجميع الوداعة والرضا والراحة. بدوا له وقد صاموا الدهر من قبل. تماما كما يحدث معه كل يوم بين أسرته رغم إنه مثلهم لا يصوم.

على الطريق

كان يسرع بسيارته علي الطريق الصحراوي ليصل إلي القاهرة قبل مدفع الإفطار. في منتصف الطريق سمع صوت انفجار العجلة الأمامية اليمني، فكادت تخرج به السيارة التي جنحت إلي يمين الطريق علي الرمال غير المستوية. كان يمكن أن تنقلب السيارة لولا أنه في هذه اللحظات بالذات كان قد خفّض من سرعته، فصارت تحت المائة بعد أن كانت وصلت الي مائة وعشرين كيلو مترا في الساعة. بسرعة غير العجلة، لكن العجلة. الجديدة لم تكن منتفخة كما يجب، فتوقف مرة أخرى في محل تصليح كاوتش علي الطريق، وضبط هواء العجل كله. أدرك أنه لن يصل عند الإفطار فلم يعد يهتم. فكر إنه ربما يستطيع الإسراع أكثر ساعة الافطار، حيث تقريبا لن تكون هناك سيارات في الطريق، وفي كل الأحوال سيصل الي شقته في القاهرة وأسرته بعد لم تنته من طعامها. أسلم روحه للأغنيات التي تنساب من راديو السيارة، ثم إلي القرآن الكريم، ثم إلي صوت الآذان وكان قد تجاوز ثلثي الطريق، الذي صار بالفعل خاليا من السيارات، وخيم عليه الفراغ والصمت. في لحظة اندفع شخص لا يعرف من أين ظهر، ولا كيف، يعبر الطريق أمامه. داس بقوة علي فرامل السيارة، وتشبث في المقود بيديه، وانحرف بالسيارة إلي اليمين أكثر، لكن الشخص كان قد تردد في الاندفاع، وعاد إلي الوراء وكأنا يضع نفسه أمام العربة. صدمته بقوة ألقت به لثلاثة أمتار أمامها. توقف هو بعد أن تجاوزه وخرج بالفعل بالسيارة

إلى الرمال. عاد إلى الرجل بسرعة. صرخ من هول الصدمة. الرجل صار مزيجا من الدم لا يعرف ماذا أصيب فيه. شيء أحمر كله ممدد علي الأرض. ماذا سيفعل الآن؟ لم يفكر كثيرا. رأي الطريق يمتد علي الناحيتين خاليا، فدخل سيارته وعاد بها إلى الطريق بسرعة، واستمر في الاتجاه إلى القاهرة. عند البوابة اضطرب قلبه. ما الذي يمنع أن يكون إكصدام السيارة ملوثا بالدم؟ لكن لم يكن ممكنا الآن الزول والتثبت من ذلك. وبالطبع لم يكن ممكنا العودة فلا طريق يعرفه لدخول القاهرة غير بوابة الرسوم. لكن أحدا عند البوابة لم ينظر إلى السيارة. خرج منها واستمر في طريقه. لابد أن يغسلها بالماء والصابون لإخفاء أي أثر حتي لو لم يكن ظاهرا. سيغسلها بنفسه أمام بيته، ولن يسمح حتي للبواب أن يفعل ذلك. بل سيرسل البواب يشتري شيئا من مكان بعيد.

كان قبل ذلك قد اتصل بزوجته بالموبايل يخبرها إنه سيتأخر و قد يلحق بهم في الإفطار، وهي الآن تطلبه في الموبايل ولا يرد. لا ينتبه إليه في الحقيقة. لقد قتل نفسا فماذا يمكن أن يحدث له الآن؟ وهل سينكشف أمره؟ لابد أن صجف الصباح ستخرج تتكلم عن الذي صدمته سيارة فمات وتركه صاحب السيارة وهرب. لن يشتري الصحف لعدة أيام. هذا هو الحل. لن يخرج من بيته ولن يذهب إلى العمل. سيمضي الأيام القادمة يقرأ القرآن لتهدأ نفسه.

مرّ يوم وثان وثالث وضاق بجلوسه في البيت. زوجته تسأله لماذا هذه الإجازة المفاجئة من العمل. يقول لها تعبت في الاسكندرية، وهي تدهش من هذا التعب الذي يتحدث عنه، فلقد ذهب يودّع وفدا سياحيا سيعود إلى أوربا عن طريق البحر. كان قد تعود أن يشتري

الصحف كل يوم، فلم يعد بشترها. لكن زوجته كانت تشتريها له في طريق عودتها، وهو لم يستطع أن يقول لها أن لا تفعل ذلك. حاول أن يبدو طيعيا بل ويقبلها كلما عادت. لكنه بالليل بعد أن تنام، كان يخرج الى الصالة ويجلس ويقرأ الصحف التي تشتريها. لم يجد في أي منها إشارة إلى الحادثة. تنفس بارتياح وتشجع علي القراءة في الأيام التالية، ولم يجد أيضا أي إشارة للحادثة. قرر في اليوم الخامس أن يذهب الي عمله. في مكتبه بالشركة السياحية الكبيرة دخل عليه أحد الضباط. رآه فقام يستقبله مندهشا. قال الضابط:

- حضرتك رجعت من خمس أيام من الإسكندرية؟
- أيوه.

قال ذلك باضطراب فقال الضابط:

- حضرتك قلت للمدام انك مكن تلحقهم في الفطار؟
إرتبك أكثر فاستمر الضابط:

- وحضرتك وصلت بعد نص ساعة من المدفع، والمدام كانت مستنياك
تاكل معاك. الولد والبنت بس اللي كلوا؟
- أيوه. ليه الأسئلة دي كلها؟

- حضرتك ما أكلتش مع المدام وكذبت عليها وقلت لهاكلت
ساندوتش وشبعت في السكة؟
لم يرد.

- حضرتك اللي أخرك إنك عملت حادثة وقتلت واحد؟
لم يرد.

- والسكان شافوك بتفسل العربية بنفسك علشان تمحي أي أثر

للحادثة؟

لم يرد.

- حضرتك ما شفتش الدم اللي نزل مع المية؟

- لا شفته ومن ساعتها عارف أن حد حيلغ ليا.

- حضرتك تشرف معايا علي القسم.

قام ومشى جوار الضابط. خرج إلي الصالة التي يجلس فيها أربعة من الموظفين، وقال لهم وهو يشير إلي الضابط بجواره:

- أنا مضطر أروح القسم مع حضرة الظابط. ياريت تبلغوا المدام في البيت.

راحوا ينظرون إلي بعضهم في دهشة. قال أحدهم بعد أن خرج ولم يعد أمامهم:

- ظابط مين اللي خارج معاه. حد منكم شاف ظابط؟

قال آخر وهويهز رأسه:

- لا.

قال ثالث:

- أحمد بيه بيخرف من الصيام. أمال لما نوصل لآخر رمضان حيعمل

ليه؟

مانشيت

طلبت منه حوارا صحفيا عن كتابه الجديد. كانت المشكلة في الوقت، فالشهر رمضان والجو صيف شديد الحرارة ومن ثم هو لا يحب الخروج نهارا. هي تريد صورا جديدة له بالنهار في الشارع بين الناس. هكذا طلبت منها الجريدة. وهو فاطر لأسباب صحية لكنه يقضي النهار علي المشروبات، ويفطر دائما مع الصائمين. أعطاها موعدا في يوم سيفطر فيه خارج المنزل.

- إيه رايك الساعة تلاثة في الزمالك؟

- مناسب جدا. حاجيب المصور معايا.

قابلها ومعها المصور الشاب. التقط له المصور بعض الصور في الشارع وفي اتحاد الكتاب، وحين قررا بدء الحوار قال:

- للأسف أنا فاطر. وإذا لم اشرب شيئا الآن سينخفض ضغطي بطريقة كبيرة. إيه رايك نقعد في كافتريا ونتكلم؟

قالت:

- لكن أنا صايمة.

- لا مشكلة. يكفي أن أطلب أنا شيئا أشربه.

قال المصور بسرعة:

- انا كمان صايم لكن تعبان. ممكن اشرب أنا كمان.

كانت مهمته قد انتهت. لكن هكذا تحدث. ومن ثم ذهب الثلاثة إلي كافتريا قريبة صغيرة يغلب عليها الطابع الإيطالي. طلب هو كابتشينو،

لكن المصور تراجع ولم يطلب شيئا وظل علي صيامه.
هي جميلة. طفولية الحديث والحركة. في حوالي الثانية والعشرين من عمرها، والمصور يبدو شاردا. نحيل وأسمر شفتاه مزموستان طول الوقت، وعلي وجهه علامات ارتباك كبيرة، ويبدو قد اقترب من الثلاثين.
بدأت تساله عن كتابه الجديد وتسجل الحوار في الموبايل. الثلاثة حول المنضدة. فجأة وضع المصور رأسه علي المنضدة بعد أن أنكفا عليها. لم يبد أنها مهتمة. هو تصويره متعبا من الجرح والصيام، خاصة أن الساعة تدخل في الرابعة، وفنار الصيف طويل. كان هو يجيب بحماس علي الأسئلة، فالبنت تتسع عيناها أثناء السؤال بشكل مثير، ولا ينتبه إلي المصور الذي نام نوما عميقا، لكن لاصوت يصدر منه. لا نفس. إنتبه إلي ذلك في منتصف الحوار. نظر إليها وقال:

- ماله؟

- مش عارفة.

- قالت ذلك بلامبالاة.

- اسمه إيه؟

- أحمد.

- يا أحمد. أحمد.

- لكن أحمد لا يسمع.

- دا ما فيش حتي نفس طالع منه.

- ما تخافش. نكمل الجوار.

- لكنه لم يستطع. راح يهز أحمد من كتفه وأحمد لا يستجيب.

- يافنار اسود ليكون مات!

ابتسمت وقالت:

- ما تخافش. مش حيموت ولا حاجة.

صاحب المقهي أو مديرها الذي يجلس قريبا، إنتبه إلي الموقف فوقف.
إقترب من أحمد ووضع يده علي رأسه.

- رأسه سخن جدا. دا ضغطه واطي كتير. أنا حاجيب دكتور من
الأجزخانة اللي جنبنا.

ارتبك هو أكثر، وهز أحمد بقوة، بينما خرج صاحب الكافتريا مسرعا.
فتح أحمد عينيه وبدأ متألما وسيفقد الوعي من جديد.

- مية بسكر وعصير أي فاكهة حلو جدا من فضلك.

قال ذلك بسرعة لأحد الجرسونات الذي وقف يتابع المشهد. بسرعة
أحضر الجرسون المطلوب ووضع علي المنضدة، ثم راح يدفع بكرسي
أحمد إلي الحائط، ثم وضع تحت ساقه كرسي آخر بحيث يكون في وضع
أقرب إلي النوم. راح هو يسقي أحمد العصير وهي لا تتحرك من مكانها
ولا تفتح. عاد صاحب المقهي يحمل كيسا صغيرا من البلاستيك مغلقا
وقال.

- مالتشش الدكتور لكن عطوني الغاز ده يشم فيه.

وقرب الكيس المغلق من فم أحمد بعد أن فتحه قليلا، وبدأ أحمد يعود
إلي وعيه. قال هو:

- ننتهي من الحوار بسرعة حتي يعود إلي بيته. سأحضر له تاكسي
يحملة.

- وهو كذلك.

قالت ذلك مبتسمة مما ادهشه جدا.

راح يجيب علي أسئلتها بسرعة، وأحمد عاد إلي النوم من جديد، ثم انتفض ممسكا ببطنه.

- مالك؟

- المشكلة في معدتي. عايز أرجع.

قال احمد ذلك بصوت متعب، وبدا يقاوم القيى. أمرها أن تشتري شيئا من الصيدلية يمنع القيى. ترددت قليلا.

- بسرعة الله يخليكي.

قامت علي مهل وهي تهر رأسها وتزم شفيتها. خرجت وعادت بسرعة معها شريطا من الحبوب. قدم واحدة لأحمد الذي رفض وقال:

-كملوا الحوار. مافيش مشكلة.

- انت كويس؟

- الحمد لله بس أنا لازم أروح.

- طيب انتظر أجيب لك تاكسي.

- لا أنا معايا عريقتي.

- حتعرف تسوق؟

- إن شاء الله.

وتركهم وخرج مسرعا علي غير ما كان يبدو عليه من تعب. إرتبك هو ولم يعرف بما يعلّق. كانت الساعة قد تجاوزت الخامسة ولم يبق علي الإفطار غير ساعة.

-هل نكمل الحوار؟ أعتقد إنك ستأخرين علي البيت.

قالت فجأة في حيرة وضيق:

- مش عارفة أعمل إيه؟

- في إيه؟
- فيه. أحمد ده. عمل كده امبارح والإسبوع اللي فات.
- هل يرفض دائما العلاج؟
- لا. هو مش عيان. هو زعلان مني.
- لم يصدق واندesh جدا. قال:
- إزاي؟
- عايز يجوزني. وأنا مش عايزة.
- لم يستطع أن يسيطر علي نفسه. إنطلق يضحك.
- عاشق يعني.
- مش فاهمة.
- استمر يضحك ويقول:
- ياالله. لقد تغيرت أحوال العشاق. من السهر والبكاء الي القى والإغماء.
- وهي خفضت رأسها وراحت تضحك بلا صوت.
- طيب ليه بتجيبه يصور معاكي. مافيش مصورين في الجريدة غيره؟
- فيه طبعا لكن دايمًا يختاروه معايا.
- سكت قليلا وقال:
- وليه صحيح ما تتجوزيهوش مادام يبحك كده؟
- ابتسمت وتألقت عيناها الواسعتان وقالت:
- أنا مش مصدقاه. مش قادرة اصدقاه.
- تعرفي أنا خايف يكون مريض فعلا.

- لا. مش مريض ولا حاجة.
- لو جري له حاجة كنا حنبقي مانشيت الصحف بكرة. وفاة مصور الجريدة وهو يصور الكاتب الكبير. لكن الحمد لله.
- ما تشغلش بالك. خليتنا نكمل الحوار.
- ودخل شاب إلي الكافتريا مسرعا يقول:
- فيه شاب أغمي عليه برة علي الرصيف. يقولوا إنه كان طالع من هنا. حد يعرفه؟

من زمن الحب والحرب

- ياه. معقول!

قالت هدي لنفسها ذلك في دهشة، فقالت إبنتها شيماء:

- فيه إيه ياماما. إيه الي بيخليكي تستغربي كده؟

- لا أبدا.

قالت هدي ذلك وتركت الغرفة وخرجت إلى الصالة. جلست وحدها تنظر إلى المظروف القديم. إنها لا تنسى ذلك اليوم. عندما دق ساعي البريد الباب كانت الساعة الثانية عشر صباحا. استلمت منه الرسالة وأغلقت الباب، ثم دارت حول نفسها فرحة والرسالة علي فمها تقبلها. لم تنتبه إلى أمها في الصالة تراقبها في دهشة.

- حازم يا ما ما. حازم بخير. بعث لي رسالة.

- الحمد لله. يارب يرجع بالسلامة هو وكل اللي زيه. يارب انصر مصر يارب.

جرت هدي بالرسالة إلى حجرها وفتحت الرسالة وراحت تقرأ في سعادة:

« حبيتي هدي. أنا بخير. واحشائي خالص. كلكم واحشني، طمني ماما إن أنا أول ما خارج حنتجوز علي طول. أبوة. اليهود اللي عطلوا جوازنا خمس سنين حير حلوا عن سينا بإذن الله. وبعد سينا ما تتحرر يبقى مافيش أي حجة لتأخير الزواج. أنا متهيألي ناس كثير حنتجوز. يعني مش احنا يس. أنا باكتب لك الجواب ده وأنا في خندق ومعايا

زميلي أشرف. أشرف معايا في كل مهمة. من إسبوع هاجتنا طيارات مستير. نوع قديم استخدمته فرنسا في العدوان الثلاثي علينا، وعملت بيه غارات علي اسكندرية. قلنا آمال فين الفانتوم. إسرائيل ما بقاش عندها طيران والا إيه؟ طبعا ما حصلش خسائر عندنا. كنا يوم ١٨ أكتوبر. يوم ١٩ هاجتنا عشرين دبابة. أسرناها كلها. آه والله. عارفة ازاى. زميلنا أحمد الصعيدي لف نفسه بالديناميت، ورمي نفسه تحت أول دبابة. انفجر فيها الديناميت واتعطلت. فوجنا بباقي الدبابات بتفتح أبوابها من فوق ومن تحت، ويطلع منها الجنود رافعين أيديهم. استشهد أحمد وأسروا عشرين دبابة بجنودها. يوم ٢١ و ٢٢ اشتركت في مهمة خلف خطوط العدو ومعايا أشرف كالعادة. أشعلنا الحرائق في المناطق الإدارية. كنا سبعة. رجعنا عشرة. استشهد منا اثنين إله مش عارف ليه الإذاعة المصرية مش بتذيع كل البطولات. يمكن علشان مش عايزين الناس تفتكر أيام ٦٧ لما كانت الإذاعة بتذيع بيانات كتير وكلها كذب. يمكن خايفين كتر إذاعة الانتصارات يشكك الناس فيها. زي بعضه. إحنا خنرجع ونحكى كل حاجة. حبيبي هدي. ما تقلقوش علينا. اسهروا وانسطوا. دا مافيش أحلي من رمضان في اسكندرية. التكريني عند سيدي المرسي أبو العباس. وأوعذك لما أرجع وتحرر سيناء نعمل كتب كتابنا فيه. سلمى علي بابا وماما ونادر أخوكي، وقولي له لازم أشوفه في يوم نجم كورة في نادي الاتحاد. وكمان سلمى علي مامتي وبابايا واخواتي».

«حازم»

« ليل ٢٥ أكتوبر ١٩٧٣ »

«شمال سيناء»

تذكر هدي الآن كيف ظلت حتي الساعة الرابعة شاردة، وهي تقف مع أمها تساعد في إعداد الطعام. أمها تضحك فكل ما تفعله هدي، تشرد عن متابعته ويشيط منها علي النار. وإذا فتحت الحنفية تغسل شيئاً لا تغلقها. والأم تضحك وتمز رأسها وتنبهها أنهم اليوم سيستقبلون والد وأم حازم علي الإفطار. في النهاية قالت لها أن تترك المطبخ وتجلس في حجرها تقرأ وتعيد في قراءة الرسالة حتي تحفظها، ذلك أفضل من إرباكها «وبوظان» الطعام.

كانت الليلة هي ليلة رؤية العيد الصغير. الرابع من نوفمبر. ولقد قررت الأسرتان أن يمضياها معا بعد الإفطار. كان أبو هدي بعد أن عاد من عمله قد نام قليلاً، واستيقظ وجلس في الصلاة يقرأ القرآن، وينتظر أسرة حازم. أما نادر فقد تعود أن يدخل من الباب عندما يدق المدفع. يقترب الوقت ولا تصل أسرة حازم. التليفون لا يعمل. والغايب حجته معاه كما يقول أبو هدي. بدأت علامات الخوف تظهر علي وجه هدي. وضعت الأم الطعام علي السفرة، وجلست مع زوجها وهدي تجلس معهما شاردة صامتة. دخل نادر قبل أن يدق مدفع الإفطار بدقائق. بدا متجهما. قال الأب:

– مش عوايدك. إحنا ظابطين المدفع عليك.

تصنع نادر الابتسام وقال:

– صحيح.. ساعتي مقدمة شوية.

ودخل إلي غرفته وانخرط في البكاء.

حين تأخرت عودة هدي إلي غرفتها جاءت إبتها شيماء الي الصالة. رأتها تمسك بالرسالة في يدها تتأملها في شرود عميق. أخذت منها المظروف وتأملته:

- إيه الجواب دا ياماما. دا قديم أوي؟

ثم راحت تتأمل الأختام البريدية القديمة.

- دا من سنة ١٩٧٣ بس مش باين اليوم ولا الشهر. منين الجواب

ده ياماما؟

أخذته هدي منها وابتسمت ابتسامة صغيرة وقالت:

- دنيا يا شيماء يا حبيبي. كان يمكن يكون من بابا. بس ربنا ما

أرادش.

تعجبت شيماء وقالت ضاحكة:

- قصة حب بأه!

- تقدرني تقولي كده.

- علشان كده شايلة الجواب كل السنين دي؟

- بالعكس. أنا نسيتته. أنا اتجوزت وسبت بيت ماما وبابا. ومش

عارفة ازاي جه معايا، وفضل السنين دي كلها وماشفتوش إلا النهاردة،

وانا باقلب في علبة المصحف الخشب بتاعة ماما الله يرحمها. يبقى ماما

اللي احتفظت بيه بعيد عني. صح.

فكرت شيماء قليلا وقالت:

- علشان كده ياست ماما حضرتك أصريقي تاخدي علبة المصحف

دي من خالو نادر بعد تيته ما توفت السنة اللي فاتت.

- ما كنتش اعرف يا شيماء إنه فيها. أنا بس باحبها علشان ماما

- وارثاها من جدو وكان عاملها بصدق ونحاس وريجة خشب الورد
لسة فيها. أيوة فيها درج سري رفيع بس عمري ما فكرت افتحه غير
النهاردة. كنت دايما أقول حيكون فيه إيه يعني؟
- قلب المؤمن دليله ياست ماما. ولا أقول لك قلب العاشق دليله.
سكتت هدي قليلا وقالت في ثقة:
- تعرفي مين أكثر واحد حيفرح بالجواب ده؟
- مين؟
- بابا. بابا أشرف كان مع المرحوم في الحرب، والمرحوم استشهد
بين أيديه.
- ماما. ماينفعش تعملي كده.
قالت الام في ثقة:
- ما تخافيش. أنا لو كان جالي عريس تاني غير أشرف ما كنتش
اجوزت أبدا.

مع مراعاة فروق التوقيت!

الزقاق لا يزيد عرضه عن أربعة أمتار، والبيوت كلها ستة أدوار وأحيانا سبعة، والجميع في الزقاق يشعرون أنهم يعيشون في مغارة واحدة. فالذي ينام إذا شخر سمعه من في البيت المقابل، والذي يرتفع صوته قليلا يسمعه أيضا من هو أمامه. والنساء تعودن أن ينشرن الغسيل في وقت متأخر حتى لا يراهن رجال قد يقفون في البلكونة. ورغم تأخر الوقت كانت المرأة تحفي نفسها تماما وأحيانا وجهها. لكن الجميع تعودوا علي أصواتهم وأفعالهم، ولم يعد الزحام يسبب مشكلة لأحد، حتى سكنت إحدي الشقق عائلة جديدة. شاب في حوالي الثلاثين يعمل بائعا في محل سمك، وزوجته الشابة التي لاتعمل في شئ. صار واضحا للجميع أن هذا الشاب لا يتكلم مع أحد، وكذلك كانت زوجته. كانوا كثيرا ما يسمعون ضربه لها في أنصاف الليالي. صراخها الذي لا يلبث أن يهدأ فيصبح أقرب للنشيج. تهديداته أن لا ترفع صوتها. صار هذا يحدث مرة أو مرتين في الأسبوع. أكثر من شخص فكر أن يتحدث معه في ذلك، لكنه لم يكن يقف ليستمع إلي أحد. أكثر من زوجة فكرت تتحدث مع الزوجة المسكينة، لكن الزوجة لم تكن تفتح الباب لأحد. صار السؤال الذي يشغل الكثيرين، كيف تتحمل هذه الزوجة، وكيف لم يظهر أحد من أهلها مرة ليفعل شيئا مع هذا الزوج القاسي. لكن في النهاية تعود الجميع علي العلة التي تأخذها الزوجة أكثر من مرة في الأسبوع. مع حلول شهر رمضان دعا الكثيرون لهذه الأسرة بالهداية. ومع انطلاق

مدفع الإفطار ارتفع صوت الزوجة تصرخ، وارتفع صوته يهددها أن تسكت. وكانت ضرباته لها مسموعة فكان فيما يبدو يستخدم خيزرانة أو كرباج.

كانت الصرخات الأولى للزوجة قوية ثم ماتلبث أن تتراجع، لكن كان الفرع يملأ كل البيوت مع الضربات. بعض النسوة تqlن «حرام... حديعمل كده» وبعض الرجال يقولون هن «علشان تعرفوا النعمة اللي انتم فيها».

تكرر الأمر كل يوم ساعة الإفطار حتي ضجت النساء. قالت بعضهن «مش عارفين ناكل. كده بنتسمم في الأكل » وبعضهن قلن حبك ساعة الفطار. ماكان بيضربها في نص الليل ضربة في بطنه» وبدأ بعض الرجال يضيق بالمسألة، خاصة إنها ساعة هدوء وراحة نفسية، وإقبال على الصلاة ومكافأة للصائم لا يجب أن يفسدها هذا المجنون. كما أن أسئلة الاطفال والأولاد كثرت عما يفعله هذا الرجل بزوجته كل يوم.

صعدت ثلاث سيدات إلي الشقة بالنهار، وطلبن من الزوجة أن تفتح هن، لأنهن لن يتحركن من أمام الباب. فتحت الزوجة الشابة فوجدتها جميلة. لا يبدو علي وجهها آثار ضرب لكن تبدو حزينة مكسورة الخاطر. قالت هن أهلا وسهلا، وما أن جلسن حتي بكت:

– يا حبيبي...إنتي إيه اللي زنقك علي الحيوان ده؟

لا ترد.

– انتي مالكيش أهل يدافعوا عنك؟

لا ترد.

- سبحان ربي العظيم كل الجمال ده وينهان كده كل يوم.
- قسمتي ونصبي.
- ردت في انكسار وأردفت:
- أبويا وأمي ميتين وأخويا مراته مش طايقاني. وهو في النهاية جوزي.
- عندكم أولاد؟.
- لا.
- انقي السبب؟
- ربنا.
- يعني انقي؟.
- هو.
- وكمان بيضربك دا ابن كلب وسخ.
- هكذا انفعلت إحدي النساء. ووقفت وقالت:
- وديني إن ماريته مابقاش أنا فوقية بنت أمي وأبويا.
- تركت النساء الزوجة المكلومة، وجلست فوقية مع زوجها حسني القهوجي، وحكت له القصة وقالت:
- لازم انت والرجالة ترنوه علقه ما يللمش بيها. البنت زي القمر ابن الكلب وساقياها السم. أنا مش حاقعد في البيت دا إذا ما منعتش الراجل ده من ضربها.
- تناقش حسني مع أكثر من واحد في الشارع. وانضم اليهم شيخ الزاوية التي يصلون فيها. انتظروا الزوج الذي تعود بعد أن يضرب زوجته ساعة الإفطار، أن يخرج بعد أن تكون الأصوات قد انقطعت

وتناول إفطاره أيضا. ذهبوا وراءه إلى المقهى التي يسهر فيها. فجأة رآهم يقفون حوله ويسحبون مقاعد ويجلسون. حدثه الشيخ في أمر ضرب الزوجات فهو مكروه فقال له:

- أنا باضرها حسب الشرع، وكمان في أماكن ماتعورش يعني ولا تسبب عاهة. باضرها بالكرباج ضرب خفيف. ولا مؤاخذة في حثت يعني تستحمل.

انفعل حسني القهوجي وقال:

- هو فيه ضرب شرعي وضرب غير شرعي. اللي بيضرب ممكن يفقد أعصابه ويموت اللي قدامه.

- لكن أنا عارف باعمل إيه. غلطان ياشيخ؟

تردد الشيخ قليلا وقال:

- يابني أنت بتضربها كل يوم ومش معقول بتغلط فيك مثلا كل يوم.

وقال حسني:

- كنت بتضربها في نصاص الليالي وسكتنا رغم إنك كنت بتفرع العيال. دلوقتي بتضربها علي الفطار. يعني مسمم فطار الزقاق كله. عليا النعمة لو ما بطلتش لأكون مفرج عليك خلق الله. قوموا بينا ياجاعة دا مافيش فايذة فيه.

ووقف ثم نظر إليه بحده وقال:

- أنا حذرتك. لو سمعتك ساعة الفطار بكرة بتضربها أنا حافط بريك. يا أخي دي أحسن ساعة عند ربنا.

وانصرف وتبعه الآخرون. فرحت فوقية جدا بما فعله زوجها وفرحت

النساء. في اليوم الثاني قبل موعد الافطار بساعة ارتفع صراخ الزوجة المسكينة وزوجها يضربها بقوة وصوته يرتفع يشتمها. جن حسني القهوجي الذي صعد إليه مسرعا مع جيران الأدوار السفلي، وطرقوا الباب بقوة، ففتح لهم غاضبا والكرباج في يده، والزوجة جالسة بعيدا علي الانتريه تبكي في عمق وحسرة. صرخ فيهم:

- جاين تضربوني في بيتي. أنا حر في مراتي. قولتولي ما تضربهاش ساعة الفطار ضربتها بدري ساعة. علي مدفع السعودية علشان ترتاحوا. فيها حاجة دي؟.

ولم يدري الجميع كيف اتمالوا عليه ضربا في وقت واحد حتي كاد يموت بينهم.

أين الرئيس...

وقف جنود الأمن المركزي في الطريق من قصر العروبة الي كوبري إكتوبر إلي ميدان التحرير الذي أحاطو به وأغلقوا مداخله وامتدوا داخل شارع القصر العيني وعلي طول شارع مجلس الشعب.

لقد قرر الرئيس أن يلتقي اليوم بالوزراء في مقر رئاستهم الساعة الثانية ظهرا. سيستغرق اللقاء ساعتين ويعود إلي قصر العروبة في الخامسة علي أقصى تقدير، فتكون هناك ساعة أو أكثر للجميع ان ينصرفوا إلي وحدائهم لتناول الإفطار في ثكناتهم.

منذ الساعة الواحدة منعت الحركة علي طول الطريق وكوبري إكتوبر. القادمون من شارع القصر العيني يغيرون طريقهم إلي المنيرة والسيدة زينب ويتابعون سيرهم في أي طريق آخر بعيدا عن ميدان التحرير. القادمون من الدقي يتجهون إلي العجوزة أو النيل. طرق كثيرة تنتظر أصحاب السيارات إلا طرقهم المعتادة. كالعادة كانت هناك لعنات لا يسمعها أحد. وترحم علي أيام الرئيس السابق الذي كان يتحرك بالطائرة الهليكبتر. لكن كل ذلك كان لا يساوي تعب جنود الأمن المركزي والضباط الواقفين تحت الشمس منذ منتصف النهار. طبعاً كان من بينهم من هو فاطر رمضان، ولكن من يجرو منهم وهم في هذه المهمة أن يشرب الماء أمام زملائه. حتي الأقباط بين الجنود علي قلتهم لا يفعلون ذلك؟ كان هناك فقط ضابط شاب يجلس داخل

سيارة بوكس عند مطلع كوبري إكتوبر، يرفع يده إلي فمه أحيانا فتبدو في رسغه سلسلة ذهبية إذ ثمر كميّه ليظهر عضلاته المفتولة والعروق فيها، كما كان علي عينيّه نظارة ريان غامقة. كان يشرب عصيرا بين الحين والحين وسائق السيارة الصائم جواره يتلمظ.

مرت الساعة الثانية ولم يمر السيد الرئيس. ومرت الثالثة ولم يمر السيد الرئيس. السادة الوزراء ينتظرونه. رئيس الوزراء ينتظره. يتصل رئيس الوزراء برئيس الديوان الجمهوري ويسأله لماذا تأخر فخامة الرئيس فيقول رئيس الديوان إنه سيتحرك بعد قليل. ومرت الساعة الرابعة ولم يصل السيد الرئيس. سأل رئيس الوزراء من جديد رئيس الديوان.

- هل ألغى الاجتماع؟

- لا طبعاً.

- طيب أين فخامة الرئيس. قلت لي إنه سيتحرك.

- في الحقيقة هو نائم.

انتفض رئيس الوزراء وقال:

- نائم. يعني إيه. ثمشي؟

- ممكن يصحي ويتحرك.

- طيب حيصحي امتي؟

- ماعرفش. بس المؤكد إنه حيصحي ويحيي الاجتماع.

لم يكن جنود الأمن المركزي يعرفون شيئاً عن موعد حضور الرئيس، ولا عن سبب مروره، ولا حتي إذا كان الرئيس حقاً سيمر أم إنه أم زوجته أم واحد من الوزراء. هم تعودوا أن يقفوا وليس لهم أن يسألوا. سقط واحد منهم إعياء من الجوع والعطش والحر فحملوه إلي

أقرب عربة من عرباتهم ومددوه فيها وتركوه. بعد ساعة أخرى إتصل رئيس الديوان برئيس الوزراء، وقال له أن الرئيس استيقظ وسيأخذ طريقه إليهم الآن. ارتبك الوزراء ورئيسهم، ولأننا صرنا نقرب من الساعة الخامسة فكر رئيس الوزراء أن الإجتماع قد يصل بهم إلي مدفع الإفطار. في هذه الحالة سيحضر الرئيس إفطاره معهم. بسرعة صدرت الأوامر لمحل أبي شقرة بإسعاف رئاسة الوزراء بطعام يكفي مجلس الوزراء والعاملين فيه والقادمين مع الرئيس. انتشرت إشاعة أن الرئيس سيتناول إفطاره في مجلس الوزراء اليوم. وكان جندي أمن مركزي آخر قد سقط من الإعياء والجوع والعطش، والضابط الشاب لا يزال يفتح علب العصير ويشرب وسائقه يتلمظ. لاحظ الرئيس أن سكرتيره رئيس الديوان أكثر من مرة يقترب منه ويكاد يتكلم، لكنه لا يتكلم، فالرئيس صار فجأة مشغولا بمتابعة حفيده الذي يلعب الأتاري علي الكومبيوتر، الذي خصصت له شاشة كبيرة بعيدة أقرب الي شاشة السينما في الحجم. كان الرئيس مبتهجا جدا ويحاول أن يشترك في اللعب أحيانا.

- يا أفندم العساكر بتقع من الجوع والرئيس لسة ما جاش.
- هكذا تكلم قائد المهمة عبر تليفونه إلي مدير الأمن فقال له:
- طيب أنا أعمل إيه؟ آديكم واقفين لحد ما يعدي. وإوعي تقول لي انك صائم.

في نفس اللحظة سأل الرئيس سكرتيره رئيس الديوان:

- مالك كل شوية داخل عليا وتمشي زي اللي عايز تقول حاجة؟

تردد سكرتيره وفي نفس اللحظة انطلق مدفع الإفطار فقال

السكرتير.

- الإفطار يا فخامة الرئيس.

ابتسم الرئيس وقال وهو يمشي مع حفيده:

- المهم تكونوا عاملين حاجة جديدة النهاردة.

بعد لحظة توقف وقال:

- مش النهاردة كان عندنا اجتماع مع مجلس الوزراء؟

- أيوة يا افندم.

- طيب ليه ما فكرتنيش؟

- فخامتك كنت نايم وبعد ما فخامتك صحيت قعدت مع الحفيد.

- خلاص قول لهم يمشوا. حاجة زي دي ابقى فكربي. أنا مختارك

عندك سبعين سنة علشان أنا عديت التمانين وطبعا بانسي! والا انت

كمان كبرت وعجزت؟

شيزوفرينيا ولكن!

كان ما يشغله حين سافر إلي باريس هذه المرة، هو أن الزيارة تأتي مع بداية شهر رمضان. هل يفطر وفقا للوقت في مصر أم في باريس. تذكر حكاية عن المسلمين في النرويج حين يتأخر غروب الشمس أحيانا حتي منتصف الليل، مما دعاهم إلي سؤال أحد الشيوخ الذي أفتي لهم أن يفطروا وفقا لمغيب الشمس في أقرب دولة إسلامية، فراحوا يفطرون وفقا لتوقيت تركيا. الأمر في باريس أسهل، ففرق التوقيت الآن ساعتان لأن في مصر يعتمدون التوقيت الصيفي. الإفطار في مصر الساعة السابعة والنصف. وهي تساوي في باريس الخامسة والنصف. لكنه أدرك أنه لا بد أن يفطر علي غروب الشمس في باريس. ماذا يفعل الآن والشمس يتأخر غروبها كثيرا في الصيف. السابعة والنصف ليس موعد المغرب. بل علي الأقل الثامنة والنصف. غروب الشمس وظهورها ليس له علاقة بفروق التوقيت. قرر أن يأكل في السابعة والنصف حتي لو لم تغرب الشمس. هكذا يسّر الشيخ علي المسلمين في النرويج فلماذا يعسر علي نفسه؟ في الحى اللاتيني سيكتشف ناس من كل الملل. ثم إنه يعرف مطعما يديره ويملكه مصري ربما يجد عنده بعض الاستعدادات ولو قليلة لشهر رمضان. ذهب إلي هذا المطعم يوم وصوله فلم يجد عنده أي استعدادات. هو مطعم لساندوتشات الشاورمة لا أكثر. إلا أن صاحبه قدم له عصير المانجو الموجود دائما مع غيره من العصائر، وضاعف له كمية السلطة. أما الحلويات فليس أكثر منها في باريس.

يستطيع أن يجلس علي أي مقهي ويطلب منها ما يشاء. لكن لماذا تصوم في باريس حقا؟ الست علي سفر؟ هكذا سأله صاحب المطعم المصري الشاب وبدا يتكلم جادا. لم يشأ أن يقول له أن هذا ليس بالسفر. الرحلة بالطائرة ليست مرهقة إرهاق البعير. ابتسم له وقرر أن لا يأكل عنده في هذه الزيارة.

في اليوم الثاني كانت هناك ندوة في الساعة السابعة. لا يستطيع أن يترك الندوة من أجل الإفطار. ستنتهي في التاسعة وسيتم دعوة الجميع إلي عشاء في مطعم تركي كبير. فليتحمل. يستطيع في السابعة والنصف أن يطلب اي شئ يشربه حتي تنتهي الندوة فيكون العشاء هو فطوره. واستطاع أن يصمد.

كان العشاء رائعا. كباب وكفته ودجاج وطبعا ما شئت من المشهيات العربية الشامية والتركية، والجلوس علي الأرض المفروشة بالسجاد، وخلف الجالسين وسائد شرقية، وأمامهم طبالي وليس مناضد، وعلي كل طبلية شيشة كبيرة يخرج منها ثلاث لَيَات، أي يمكن أن يستخدمها ثلاثة في وقت واحد. وكانت زجاجات الخمر بين الجميع لكنه لم يشرب. كانت هناك راقصة جزائرية شابة قدمت فاصلا من الرقص الشرقي البديع أمامهم وبينهم قبل العشاء. ما أن انتهت حتي اختارت أن تجلس إلي جواره. سألت الجرسون التركي حين اقترب يسألها عما تريد أن تشرب من خمر، هل اللحم حلال؟ تقصد مذبوح علي الطريقة الإسلامية، فقال ضاحكا أنه مسلم واسمه ميميد يعني محمد. ابتسمت واعتذرت عن أي شراب ثم نظرت إليه وسألته:

— لماذا لا تشرب النبيذ؟

- أنا مسلم مثلك وصائم أيضا. أتناول افطاري الآن. قالت.
- أنا أيضا صائمة. العمل كل ليلة يؤخر فطوري لكن اعتبر ذلك ثوبا. اليس كذلك؟
- هز رأسه مبتسما ولم يجب فسألته:
- هل أعجبك رقصي؟
- جميل سريع الإيقاع.. لقد أحسست به رقصا جليا أكثر منه شرقيا.
- قالت أنها من منطقة جبلية حقا في الجزائر، وهكذا يكون الرقص هناك ثم سأله:
- هل لو أتيت أجد فرصة للرقص في مصر؟
- أجل. بسرعة. فرقصك سيكون جديدا علي الملاهي الليلية المصرية.
- علت البهجة وجهها وسألته:
- أريد أيضا أن التحق بالأزهر.
- نظر إليها مندهشا وابتسم وقال:
- ماذا تقولين. الأزهر؟
- قالت:
- أجل. أريد أن أدرس علوم القرآن. جدي في الجزائر كان يحب القرآن.
- ابتسم مرة أخرى وبدا مشفقا عليها إذ أحس بصدق سؤالها.
- صعب. إما الرقص وإما علوم القرآن!

- لماذا؟ الدراسة ستكون بالنهار والرقص بالليل.
- ارتبك جدا ولم يعرف بم يجب. هل يقول لها مثلا ماذا يعني الرقص في الملاهي الليلية، وما قد يجره من أعمال أخرى. قال:
- صعب أن تجمعني بين العملين.
- قلت لك سيكون الرقص ليلا والدراسة بالأزهر فمارا.
- أحاط كتفيها بذراعه وضمها اليه. لاحظ أنها صغيرة جدا، وليست كما كانت تبدو وهي ترقص، رغم أنها لم تخلع بدلة الرقص بعد. إلا أن البدلة لم تكن تظهر شيئا كثيرا من ساقها. ربت علي كتفها وسألها:
- كم عمرك؟
- اثنين وعشرين. كبيرة؟
- علي العكس صغيرة جدا وربما كان هذا سببا ثانيا. ما رأيك لو أتيتي للعمل في مهنة أخرى.
- أنا أعشق الرقص وسأكون نجمة في يوم ما.
- قال مشفقا:
- الرقص في الملاهي الليلية في مصر ينتهي عادة مع نور الصباح.
- سكنت قليلا وبدا عليها الأسف وقالت:
- خسارة. أنا أسمع عن مصر كثير. بلد حلو.
- لم يرد. ابتسمت وقالت:
- أستطيع أن أتدبر أمر الوقت.
- قال ليحسم الأمر:
- سيطلبون أوراقك في الأزهر، ويجدون إنك راقصة فلا يسمحون لك بالدراسة.

أصابتها دهشة كبيرة وسألته:

- هل الرقص حرام؟

لم يرد. أدرك فجأة كم هي جميلة الوجه والعينين. قال لها:

- غدا ليس عندي شيء أفعله. أريد أن أتناول الإفطار في مطعم

مغربي. هل تصحبيني إلي أحد المطاعم الشهيرة هنا؟ سأعزمك.

فالت:

- في أي فندق أنت؟

- سان جيرمان.

- حلو. سأحضر اليك في الساعة ونذهب إلي المطعم معا. قريب منه

جدا. سنذهب علي الأقدام. ونكمل الحديث. فكر معي ربما نجد طريقة.

أرجوك.

صورة الديكتاتور

هل حدث ذلك كله لأنه رأي صورة الديكتاتور؟ لا يستطيع أن يقرر بالضبط. كان قد تعود أن يعود إلى بيته في الساعة الأخيرة قبل موعد الإفطار. قبل ذلك تكون كل الطرق مزدحمة. في الساعة الأخيرة لا يبقى إلا القليل من الناس يسرعون في المواصلات الخاصة أو العامة وتتسع لهم الطرق. ورغم أن ذلك كثيرا ما يخيفه بسبب التهور في السرعة، إلا إنه رغم هذا الخوف لم ينقطع عن عادته ودائما ربنا يسلم، خصوصا أن بيته داخل المدينة، ومن ثم لا يحتاج إلى سرعة كبيرة كما يحدث على الطرق السريعة.

جلس علي المقهي الذي تعود أن يجلس عليه. لكنه اليوم رأي علي جدار المقهي صورة جديدة لحاكم البلاد. صورة كبيرة يبدو فيها وجه الحاكم نظرا قويا لا يوحى بأي انفعال. صدره عريض لكنه مثل حائط صلد أملس بلا أي تعرجات حتي بدت له الجاكت والقميص والكرافطة التي يرتديها شيئا واحدا مع صدره. نظر إلى الصورة وإلى الجالسين في الركن. هؤلاء الفاطرين في رمضان الذين يبدون متخفين حيث لا تفتح المقهي بأبوابها إلا قليلا حتي لا يراهم أحد. هو صائم لكنه زبون قديم للمقهي لذلك يدخلها بلا حرج أن لا يطلب شيئا. يتسم والجرسون الشاب الصعيدي الأسمر يقول له دائما « حضرتك بتحب تاخذ زنوب علي الفاضي. أيوة. بتيجي هنا تقعد وسط الفاطرين وما تطلبش حاجة. اكيد بتتخسب عند ربنا معاهم» يضحك من هذا الحوار الذي يتكرر

منذ سنوات وكل يوم في رمضان ويردف الجرسون دائما:
- يا استاذ افطر علشان يقي حسابك يوم القيامة علي أصوله بحق
وحقيق.

يضحك أيضاً واليوم سأله:

- إيه الصورة دي؟

- بتوع المحافظة ياسيدي وزعوها علينا بمناسبة وصوله لسن
الثلاثين.

إنطلق يضحك بقوة فقال الجرسون:

- قصدي بمناسبة وصوله في الحكم لتلاتين سنة. مش هما تلاتين
برضه. أصل أنا عندي خمسة وعشرين. حضرتك أكيد أدري مني.
ابتسم وجلس قليلا لا يستطيع ان يمنع نفسه من النظر إلي صورة
الديكتاتور بين وقت وآخر، ثم وقف خارجا وركب سيارته إلي بيته.
لدهشته وجد الشوارع خالية إلا منه وسيارته. ابتسم مندهشا لا
يصدق كل هذا الخلاء والصمت. وللحظة انتبه إلي إنه لا يسمع حتي
صوتا لمقرئ للقرآن الكريم من أي مكان. كان الوقت شتاء لكنه رأي
الشمس لا تزال عالية في الفضاء. ليس هذا هو الشتاء الذي يعرفه.
ضوء الشمس حوله يجعل الفضاء أكثر اتساعا. ورأي علي جانبي الطرق
مئات السيارات واقفة جوار الأرصفة. لا أحد في الطريق حوله أو أمامه
أو ورائه. هل عاد الناس إلي بيوتهم وتركوه وحده. نظر في ساعة
السيارة فوجدها الرابعة والنصف. لا تزال هناك نصف ساعة علي
مدفع الافطار. أين اختفي الناس؟ لم تطل دهشته وتوقف تاركا السيارة
لينظر حوله فلم يري أحدا. هل هذا طريقه المعتاد إلي البيت حقا؟ مشي

قليلا ونظر خلفه فوجد نفسه قد ابتعد كثيرا عن السيارة. لم يشغله ذلك فهو يعرف أنه تركها أمام بنك شهير. مشى أكثر إلى الأمام وفجأة رأى أمامه جدارا يرتفع عن الأرض يغلق الشارع. دحك عينيه ليتأكد مما يري فرأى الجدار الذي ارتفع حقيقة واضحة. هز رأسه ربما يحلم لكنه عاد يري الجدار. ابتسم وأخذ طريقه إلى الخلف عائدا إلى سيارته. مشى قليلا فارتفع أمامه جدار جديد يسد طريق العودة. ما الذي يحدث له أو معه. يتأكد الآن أنه بالفعل قريب جدا من بيته. بل ركن سيارته أمام البيت وليس أمام البنك. هذا الشارع الجانبي يمكن أن يصل به إلى البيت. دخل فيه فرحا وخاصة أن الشارع يبدو خاليا أمامه. أسرع حتي ينتهي منه ويدور إلى بيته، وعند نهاية الشارع قام جدار جديد أكثر ارتفاعا أمامه. خرج الجدار من الأرض في لحظة واحدة ولم تفتز البيوت أو تقع. وقف حائرا يكاد يصرخ. راح ينظر إلى الجدار غير مصدق. كاد يتهاوي علي الأرض لكنه تماسك واستدار ومشى يائسا للحظات والشارع الخالي يمتد أمامه من الناحية الأخرى. هذه فرصته الأخيرة فليسرع. أسرع وقبل نهاية الشارع قام من الأرض جدار جديد. تراجع في فزع وهاوي جالسا علي الرصيف واضعا رأسه بين ذراعيه وفوق ركبتيه. ما يحدث معه ليس حقيقة. هذه هلاوس حقيقة. سوف يجن. لكن الجدار أمامه في كل ناحية. لم تعد هناك حتي بيوت علي الجانبيين. صار الآن بين أربع جدران عالية. ولدهشته لم يعد في السماء شمس ولا ضوء. والليل أيضا لم يأت. ماحوله الآن ليس نورا ولا ظلاما. سديم لم يكن قبله زمان ولا بشر. ونظر إلى ساعته فوجدها السادسة. انطلق مدفع الإفطار ولم يسمعه. الآن وكما يحدث كل يوم يكون الناس قد

انتهوا من طعامهم. والموبايل الذي يحمله صامت. نظر فيه فوجده خارج الخدمة. لا يعرف له أحد مكانا الآن وهو الوحيد الذي يعرف أنه كان قريبا من بيته. فجأة اتسعت عيناه علي فكرة. أيكون كل ذلك لأنه رأي صورة الديكتاتور معلقة في المقهى. رفع رأسه فوجد أعلي كل الجدران صور الديكتاتور تنظر إليه ضاحكة.

سيبك منه خليك في جالك!

سعيد تعود أن يصلي المغرب قبل أن يتناول طعام الإفطار. ينطلق المدفع فيتناول بسرعة كوبا صغيرا من عصير قمر الدين أو أي عصير في المنزل، ثم يخرج الي الجامع المواجه للبيت. يقول أن الإفطار بعد الصلاة له طعم آخر. كان أبوه يفعل ذلك ومنه تعلم هذه العادة. رأي سعيد شيوخا كثيرين تعاقبوا علي الجامع من أهل المنطقة. كلهم كانوا لا يطيلون الخطبة يوم الجمعة، ولا يطيلون الصلاة في أي وقت. سعيد الآن مثلي في الستين من العمر. دعاني إلي الإفطار عنده في رمضان حين عرف أي مسافر الي القاهرة لقضاء بعض الأعمال. هو أصلا بلدياتي من المحلة الكبرى التي تركها الي القاهرة وراء العمل. لا تنقطع زياراتي له حين أزور القاهرة. في رمضان يكون الأمر مختلفا. يكون إلحاحه علي لزيارته كبيرا. وفي كل مرة بعد الإفطار نخرج معا الي مقاهي الحسين. في السنوات الأخيرة لم نعد نفعل ذلك. إذا ذهبت اليه أتناول الإفطار معه ومع أسرته، ثم نسهر في الشقة نفسها حتي السحور وننام. هرمننا ولم تعد بنا قدرة علي السهر في الزحام الذي صار لا يطاق في القاهرة. حين ذهبت إليه هذه المرة بعد انقطاع ثلاث سنوات وجدته متعبا. جالس أمام التليفزيون يتفرج بشغف علي برامج الأطفال التي تسبق مدفع الإفطار في بعض القنوات. سألني عن أحوال الأسرة فقلت بخير. وسألته عن صحته فقال إنه يعاني من آلام مزمنة في الظهر ولا يريد إجراء أي عملية. يتحايل علي الآلام بالدهانات والحقن لكنه يرفض

العملية. بعض الأطباء حذروه منها وبعضهم شجعوه عليها وضحك وقال:

- طيب أصدق مين فيهم؟

ضحكنا وكانت ضحكته كما عهدتها منه طول العمر عالية صافية. دخلت زوجته وقالت لي:

- عاجبك كده يا استاذ أحمد. لسة مصمم يصلي في الجامع وضهره بيوحه. ربنا ادي للمريض رخصة إن شالله يصلي وهو قاعد، لكن جوزي ما فيش فايذة دماغه ناشفة.

وضحكت وقال هو:

- خلاص خلاص مش رايح. إعملي لنا شاي ولا حاجة.

نظرت الينا مبتسمة فقال:

- آه صحيح لسة ما فطرناش.

ضحكنا وقلت له أن زوجته علي حق ثم سألته:

- لكن للدرجة دي الصلاة في الجامع بتتعبك؟

سكت لحظة وقال:

- الشيخ هو اللي تاعبي.

- أي شيخ؟

- شيخ الجامع. أنا مش فاهم ازاي بيعمل كده.

ابتسمت مندهشا وقلت:

- بيعمل إيه؟

- بقاله سنين كل جمعة يقول «اللهم العن اليهود والنصارى». والمصيبة

إن العمارة اللي جنب الجامع تقريبا كلها نصاري.

- حصل مشكلة؟
- لا. عزّلوا من الحنة كلهم.
- كدت أضحك لكنه قال:
- كان فيهم ناس عزاز عليّ أوي. لكن مش دي المشكلة.
- اندهشت أكثر وسألته:
- فيه أكثر من كده؟
- هز راسه وقال:
- يوم الجمعة بيطول في الخطبة أوي ويطول في الصلاة كمان.
- طيب حد يوجهه بس. ينبيه إن فيه ناس تعبانة وخلاص.
- ما بقتش أصلي الجمعة في الجامع ده. الجامع الثاني بعيد شوية بس مش مشكلة لسة باقدر امشي.
- طيب كده خلاص. مافيش مشكلة.
- انت عارف اني باحب اصلي المغرب وبعدين ارجع أفطر. أروح جامع بعيد والا قريب؟ طبعاً قريب علشان الحق ارجع آكل مع ولادي اللي بيستوني.
- وسكت لحظات ثم قال كأنه يحدث نفسه «ركبني ذنب منه لله»
- ابتسمت وقلت:
- حصل إيه؟
- استحملت الكام يوم اللي فاتو لحد امبارح.
- استحملت إيه؟
- الصلاة وراه طبعاً. ياراجل دا بيطول في الركوع. عارف يعني إيه الركوع؟. لو السجود ممكن نتحمل أهى دماغ الواحد علي الارض

وساند علي الارض كمان بإيديه، لكن يطول في الركوع وضهري مكسورا!!

وسكت من جديد وبدا في أسف حقيقي، ثم راح يكلم نفسه من جديد:

- ركبني ذنب منه الله.
- حصل إيه بس يا سعيد؟ اتخانقت معاه؟
- ياريت.
- كلمته وغلط فيك؟
- ياريت.
- الله.. طيب حصل إيه يا جدع؟
- وعادت زوجته إلينا ضاحكة وقالت:
- إحكي للأستاذ أحمد عن اللي حصل. والله ماحصل حاجة وربنا حيغفرلك.
- توقعت أن يكون سعيد قد فعل شيئا مضحكا لا شيئا جادا. إبتسمت وسألته:
- بجد عملت إيه؟
- إمبراح طول أوي في الركوع وضهري تاغبني جدا ومش سامع بيقول إيه من الالم. كنت حاقع. لاقيت نفسي باقول للي جنبي هو بيقول إيه الراجل بن الكلب ده؟
- انطلقت أضحك غير مصدق. وهو بدوره راح يضحك وزوجته لا تزال واقفة تضحك وقالت:
- استني يا استاذ أحمد شوف اللي جنبه قال إيه.

قلت مندهشا:

- اللي جنبك رد عليك؟

نظر الي سعيد نظرة طويلة تألقت فيها عيناه، وقال وهو يحاول أن يمنع نفسه من الضحك:

- اللي جنبي رد عليا وقال لي سيبك منه خليك في حالك دا راجل ابن..... وشتم الراجل الشيخ.

لم استطع السيطرة علي نفسي من الضحك. وقالت زوجته:

- غلطان هو والنبي كده والا اللي جنبه؟

لكني ظللت أضحك للحظات، وانطلق مدفع الإفطار، فوقف ومد يده سحب المصلية من ركن جوار الحائط وفردها علي الأرض ووقفنا نصلي معا وخرجت زوجته من الغرفة تنتظرنا مع الأولاد في الصالة لتناول الطعام.

سألني:

- تصلي أنت بينا؟

قلت مبتسما:

- لا. حضرتك النهاردة الإمام.

تحيا الشيوعية!!

ليس لأي سبب من احتياج. هكذا طقت الفكرة في رأس طارق المرشد السياحي. طاف بالوفد المكون من عشرة رجال ونساء من روسيا في خان الخليلي وشوارع الحسين. كان يعرف منذ اليوم الأول لمرافقتهم إنهم ليسوا مثل سياح إنجلترا أو فرنسا مثلاً. هؤلاء فقراء السياح. لقد انتهى عهد الجمهوريات السوفيتية حقاً منذ سنوات، لكن لاتزال الحياة الاجتماعية والاقتصادية يشوبها الفقر قياساً علي دول أوروبا الأخرى. كان خوفه فقط من جمال النساء. خمس نساء وخمسة رجال. كيف يمكن لهذه النساء الجميلات أن يجلسن علي مائدة رحمن. هل لن يثير جمالهن أحد؟

كان كل أعضاء الوفد لا يعرفون لغة غير اللغة الروسية. إذن لن يستطيع أحد أن يخبرهم بالحقيقة. كانوا يزلون في فندق نجمتان في شارع عرابي، وكانوا دائماً مستعدين للمشي أكثر من استخدام التاكسي ويساعدهم أن الجو شتاء. رغم ذلك كانت النساء ترتدي ملابس تكشف عن أذرعهن وأعلي صدورهن وظهورهن. هذه مشكلة أخرى. لكنه توكل علي الله وقرر أن يفعل فعلته. قال لهم:

— ما رأيكم ان نؤجل الغداء إلي الساعة الخامسة؟

— لماذا؟

— سأصحبكم الي مائدة مصرية جداً. شعبية ورخيصة. لن يتكلف الفرد أكثر من عشرة دولارات. وستأكلون أكلاً مصرياً صميماً.

- أي أكل؟

- سأشرح لكم كل الأصناف بعد أن نصل الي هناك. لا تقلقوا.
واقفوا سعداء. وانتهت جولتهم في حي الحسين وخان الخليلي. لم يشتروا أشياء لها قيمة. كان يدخل بهم المحلات محرجا ويخفي ضيقه فما يشترونه مهما غالي فيه البائع في ثمنه لن يكون له نصيب - عمولة - لها قيمة. لكن هكذا شاء حظله في الشركة السياحية التي عمل بها. لقد تصور أن معرفته بالروسية ستجعله مميزا. لكن كل الوفود الروسية فقيرة. في الرابعة والنصف قرر أن يذهب بهم إلي مائدة في وسط البلد، بعيدا عن حي الحسين. هم الآن مرهقين ولن ينتبهوا إلي شيء. حصل من كل منهم عشرة دولارات ومشى أمامهم في شارع الأزهر. صوت القرآن الكريم يرتفع حوله من كل مكان. موائد الرحمن تصف تحت كوبري الدراسة. موائد صغيرة لأن أكثر الأماكن تحت الكوبري صارت مشغولة بالسيارات والبضائع. يريد أن يختصر الطريق الآن وليس مهما أن يصل إلي نصف البلد. وبالفعل رأي مائدة يبدو من فرشها إنها أفضل من غيرها. اقترب من أحد المنظمين للمائدة بدا له هو المعلم ووقف يهمس له:

- معايا وفد مسلمين من روسيا، عايزين ياكلوا في مائدة رحمن. عايزين يحسوا برمضان في مصر.

إرتاب الرجل قليلا ثم سأله؟

- يعني هما فقرا أوي كده؟

- انت عارف روسيا يامعلم. الشيوعية ماخلتش حيلتهم حاجة.

قال الرجل مشققا بحق:

- الله يخرب بيت الشيوعية علي اللي عملها. معقول النسوان الحلوة دي تبهدل كده؟ بس دول لابسين عريان يبقى صايين ازاي، وكمان في الشتا هما ما بيحسوش؟

- معلش يامعلم سلو بلدهم.

هزّ المعلم رأسه ونادي علي أحد الصبيان أن يصفّ أكثر من منضدة أخري لهم. وأن يهتم بكل شئ، وبالذات نظافة الصحون والملاعق والأكواب.

كان الجالسون في انتظار المدفع من العاملين في المحلات تقريبا. كانوا لا يوحون بفقر كالذي تجده عادة في الموائد الرحمانية. جلس الروس سعداء وبدأ أحد العمال وفتاة صغيرة معه يضعان الطعام أمامهم. كلما حاول أحدهم أن يمد يده يأكل شيئا يقول له طارق بالروسية أن ينتظر حتي يأكل مع الجميع. وأن هذه عادة مصرية في الأماكن الشعبية. قال له أحدهم فجأة:

- مطاعم كثير في الشارع. ما قريناش عنها في الدليل السياحي.

إرتبك طارق وقال بالروسية بعد تردد:

- هي موجودة في دليل عاملاه وزارة الثقافة. وزارة السياحة شغلها مش كويس. دا تراث ثقافي من أيام الممالك.

ابتسمت النساء وهز الرجال رؤوسهم، وكان كل من يجلسون من المصريين لا يرفعون عيونهم عن أجسام السيدات الظاهرة. راح طارق يشرح لهم ماهي المسقعة وماهي الملوخية وماهو المحشي وبالذات ورق العنب وماهو بابا غنوج وماهو العناب والتمر هندي وهم سعداء. انطلق مدفع الإفطار فبدأ الرواد الطبيعيون يأكلون وأشار لهم طارق

بالأكل. راحو بدورهم يأكلون وهو يلاحقهم بالكلام عن عبقرية الطهو الشعبي المصري، وكل من كان له ملاحظة أغفلها لأنهم جاعو جدا وراحوا يأكلون. انتهت الجلسة علي خير ووقف فوقفوا معه. صافح صاحب المائدة الذي صافح بدوره الوفد قائلا:

- نورتوا مصر. كان نفسي يكون فيه لحمه أكثر من كده.

وهو ترجم لهم الجملة الأولى فقط. فوجئ صاحب المائدة بالنساء تقبله علي خده وانصرف طارق بهم وهتف أحد العاملين:

- أحلي فطار يامعلم.

فقال المعلم:

- علي النعمة هيا دي نعمة ربنا بجد. تحيا مصر وتحيا الشيوعية اللي

فقرت الناس الحلوة دي وجابتهم مائدة رحمن.

وكان طارق قد ابتعد بالوفد يضحك.

إفطار في ميدان التحرير

ثلاث فتيات ذهبن للإفطار في ميدان التحرير. أمضين النهار يكتبن الشعارات التي سيهتفن بها. كان أبرزها «للعسكرية ولا دينية.. مدينة مدنية». نزلن من الميكروباص في موقف عبد المنعم رياض. مشين إلى الميدان تحمل كل منهن حقيبة بلاستيك بها إفطار يكفيها وزيادة. فضلا عن أكثر من زجاجة مياه معدنية صغيرة وأكثر من علبة بيبسي.

- يارب يكون فيه عدد كتير الجمعة دي.

قالت نجلاء ثم أضافت:

- لأن لو العدد قليل حيزربونا زي الجمعة اللي فاتت.

قالت شيماء:

- إن شاء الله حيكون العدد كتير رغم اللي قعدت تنشره الجرايد عن انسحاب الأحزاب والائتلافات.

قالت مريم:

- كتير قليل. النهاردة ياقاتل يامقتول.

ضحكن واقتربن من الميدان. كانت قوات الشرطة العسكرية تحيط بالصينية التي تتوسطه، وعلي كل طرف من أطرافه البعيدة تقف إحدى الدبابات. المتجمعون يقفون علي الرصيف وجواره، ويقفون أيضا عند الصينية الأصغر. مثلث هو في الحقيقة مرتفع عن الأرض يفصل الطريق إلى شارع رمسيس إلى قسمين. قسم منهما يمكن لمن فيه أن يدور إلى كوبري قصر النيل. كما يقفون أمام مجمع التحرير بعيدا عن الساحة

التي أمامه، والتي يشغلها جنود الأمن المركزي والشرطة العسكرية. وضح لمن أن المجتمعين الذين جاءوا للإفطار لإظهار احتجاجهم علي المحاكمات العسكرية للشوار، سوف يكونون دائما جوار الأرصفة أو عليها، ولن تسمح قوات الشرطة لهم أن يشغلوا الشوارع حتي لاتتعطل حركة السيارات. وبالفعل كانت هناك سيارات لازالت تمر بسرعة. إشارات المرور تقريبا لا يقف عليها أحد من الجنود. جلست شيماء علي حافة المثلث الصغير الذي يقسم الطريق الي شارع رمسيس مع زميلاتها. وجدن كثيرا من الأصدقاء والصديقات. وكثيرا ممن لم يقابلهن من قبل. من يستطيع أن يعرف كل الناس في ميدان التحرير! كانت شيماء تتطلع إلي عساكر الشرطة العسكرية وتندهش. دقائق وينطلق مدفع الإفطار ولا أحد مرّ عليهم بطعام أو شراب. قالت:

– معقول مش حيفطروا!!

ردت نجلاء:

– صحيح. دا ما فيش حتي واحد ماسك قزازه مية.

قالت مريم:

– إحنا لازم نعمل حاجة. لازم نديهم أكل ومية.

ولم تنتظر إجابة. وقفت وهتفت:

– ياجاعة عساكر الشرطة العسكرية واقفين طول النهار والمدفع قرب

يضرب وماحدش إداهم لا أكل ولا شرب.

قال أحد الشباب:

– وعساكر الأمن المركزي وحياتك. مع إن يوم ٢٨ يناير وزعوا

عليهم وجبات من كتناكي وقالوا علينا احنا اللي بناكل منها.

قالت مريم:

- مين يقوم معايا نوزع عليهم أي حاجة؟

قال نفس الشاب:

- توزعي علي مين ولا مين. دا عساكر الشرطة العسكرية وراهم عساكر أمن مركزي مش باينين علشان قاعدين علي الأرض.

- معلش ما ينفعش نفطر وهما واقفين جعائين.

قالت إحدي الفتيات ضاحكة:

- خدوا الصينية وما طبخوش أي حاجة! طيب يسيبوا لنا الصينية ويشوفوا حناكلهم ازاي!. ضحك الكثيرون. وكان عد كبير منهم قد راح يقدم لمريم وشيماء ونجلاء اللاتي وقفن معها، بعضا من الساندوتشات وزجاجات المياه والبيبيسي. وقف معهم الشاب الذي تكلم من قبل، ثم شاب ثاني فثالث، وتوجه الجميع ناحية الجنود، وراحوا يمدون لهم أياديهم بالأكل والماء والبيبيسي. لم يتحرك الجنود. لاحظ الشاب إنه لا يوجد ضباط. قالت مريم للجندي أمامها:

- اتفضل. والله أكل بيتي ونضيف. والمية معدنية والبيبيس كانز. ماتخافش خالص.

لكن الجندي وقف كما هو لا يتحرك. قالت شيماء:

- اتفضلو ا. ولو عايزين برضه تضربونا بعد كده اضربونا مش حترعل منكم. ابتسم عدد من الجنود وقالت نجلاء:

- عارفين إنها أوامر ليكم.

بدا علي الجنود الرغبة في تناول ما يقدمه الشباب، لكن بدا أيضا أن الخوف يكبلهم، وإذا بواحد منهم يقول هامسا:

- خذ ياله. العميد مشي والظباط. أنا حاخذ.
ومد يده ففعل الآخرون مثله، وراحت الفتيات الثلاث ومعهن الشبان
الثلاثة يدورون أمام الجنود بالطعام حتي إذا نفذ أسرع الشباب إلي
الجالسين علي الأرصفة والأرض وأحضروا منهم كميات أخرى يعطونها
للبنات اللاتي يدرن مع الصينية الواسعة الكبيرة يوزعنه علي الجنود.
إنطلق مدفع الإفطار ولم يكن قد أتمن الدوران بعد. وبدا أن الصينية
كبيرة لا تنتهي. قام جنود الأمن المركزي الجالسين خلف جنود الشرطة
العسكرية وتقدموا يقفون بينهم، والشباب يروح ويجيئ بالطعام، وفي
كل مرة يقل ما يعودون به إلي الجنود، والفتيات الثلاث يصمن علي
الانتهاء من إطعام الجميع حتي إذا عادوا جميعا، البنات والصبيان، إلي
مكائهم بين المجتمعين، لم يجدوا طعاما باقيا مع أحد. شربوا ما تبقي من
المياه والعصائر وجلسوا علي الأرض يضحكون. أخرجت مريم الورقة
التي بها الشعارات التي سيهتفون بها الليلة، فرآها أحد الشباب الثلاثة
الذين صجوهن. إبتسم وقال لها:

- كل دي شعارات حتهتفي بيها ومن غير فطار؟.

ابتسمت فقال من جديد:

- ممكن عنك انتي. أنا صحتي كويسة ومتعود علي الجوع.
ضحكوا جميعا. وقدمت له الورقة وعيناها لا تتوقفان عن النظر إليه.
لكنه قال:

- أنا بسرعة حاشتري لكم ست علب كشري. أبوة. علشان نستحمل
الضرب. مش معقول كمان ننضرب واحنا جعانين.
وارتفعت من جديد ضحكائهم في الفضاء.

النهاية

ظللت لعدة أيام أفكر في الحكاية الأخيرة. تميمت أن يكون رمضان تسعة وعشرين يوماً، لأنه بدا لي أنني لن أجد حكاية أكتبها. نزلت إلي الشوارع ساعة الإفطار ومشيت فيها. كان الناس يعطونني أكياساً من العصائر وأنا اعتذر مبتسماً وأظل أمشي عليّ أجد شيئاً يثيرني. للحظة فكرت إنه لم تعد بي قدرة عليّ التأثير بما حولي. جفت الينابيع فيما يبدو. في هذه الحالة ابتعد عن الكتابة. يطول الوقت أو يقصر حتي تمتلئ روحي بمجديد. حسدت كتاب المقالات. في كل يوم جديد حوادث وأحداث. مسرات وآلام. وثورة تملأ الأرض والفضاء حولهم بالوقائع إلي حد الجنون. قررت أن أكتفي. يعتذر الكاتب عن الحكاية الأخيرة ويتركها لكم. مانشيت جديد. وحيداً لو تركت الصحيفة الصفحة خالية من الكلام، ورسم الفنان سحابة بيضاء حولها فراغ كبير. وهكذا رحت استعد للإفطار. إلا أن جرس الباب دق. من ياتري يأتي ولم يعد أمام مدفع الإفطار غير عشر دقائق. فتحت لأجد البواب أمامي. بدا لي مضطرباً أحمر وجهه الأبيض.

- فيه ناس كثير أوي عايزين يطلعوا لحضرتك.

قلت مبتسماً:

- يعني إيه؟

- إنزل لهم يا سعادة البيه ما تخليه مش يطلعوا هنا. رجالة وستات.

شبان وبنات. فيهم عواجيز كمان. أشكال غريبة ياباشا. دا فيهم ولاد

لابسين البنطلونات بتاعة زمان دي اللي كان اسمها شارلستون. وبنات
لا بسة قصير خالص. وبوليس كمان وعساكر جيش.

ضحكت. قلت له:

– انت اتجننت ولا حاجة؟

قال في يأس:

– ياباشا بص من البلكونة وانت تشوف.

ذهبت إلي البلكونة ونظرت فلم أجد أحدا بالشارع. كان هو يقف
جوارى.

– والله ياباشا كانوا هنا. أنا اتكلمت معاهم بنفسي.

ابتسمت وقلت:

– طيب انزل انت. حصل خير. النهاردة آخر يوم في رمضان. أكيد
دماغك ضربت.

كاد يحلف فأشرت له بالسكوت. خرج من الشقة وأغلقت الباب
مبتسما. تلفت لأجد عددا كبيرا من الناس يجلسون ويقفون في الصلاة.
احتلوا المقاعد كلها وراحوا ينظرون إلي نظرات جامدة لا تتحرك فيها
عيونهم. بسم الله الرحمن الرحيم. قلت لنفسي. قال أحدهم. أكبرهم
سنا:

– نسييني يا استاذ. أنا برعي اللي كان عامل كشك سجائر علي ترعة
المحمودية. انت لسة فاكّر حكاية رباعيات الخيام. أنا مت من زمان.
والله يكرمك خليت الناس كلها تعرفني.

وقفت غير قادر علي الكلام. تقدم آخر مني وقال:

– لا يمكن أن تكون نسييني مرة ثانية. أنا زكريا أحمد ظابط أمن

الدولة اللي قلت عليه غلبان. أنا كمان مت. بس ميتة ربنا. ياريت كان حد قتلني بدري. لكن ربنا اداني العمر علشان اتعذب. علي أي حال أشكرك إنك كتبت عني.

صرخت فيهم:

– انتم مين؟

انطلقوا يضحكون. قالوا في صوت واحد:

– إحنا ابطال الحكايات اللي انت كتبتها. يزعلك إننا نشوفك ونعزمك علي فطار كمان.

لم أرد. رحت اتفرس في وجوههم أبحث عن أعرفهم شخصيا وقابلتهم في حياتي وهم الأكثر، وعن خلقتهم من مخيلتي. لم أستطع. قالوا من جديد في صوت واحد:

– ممكن نفطر معاك هنا بس أكيد ما عندكش أكل يكفيننا. فاضل دقيقة علي المدفع. اتفضل معانا علشان نلحق. حتفطر وترجع علي طول. نرد لك الجميل.

أخذوني بينهم. أحاطوني وابتسمت لي النساء والفتيات علي قلتهن. وقبل أن أتكلم وجدت نفسي معهم وسط غوطة كبيرة كلها أشجار فاكهة.

– أنا فين؟

قلت لنفسي بصوت خفيض.

– في الجنة.

كانوا لا يزالون حولي. لكنهم صاروا عراة إلا من ورقة توت تستر كلاً منهم. والنساء أيضا كن كذلك. ليتني كتبت عن نساء كثيرات

وفتيات أكثر. من يكره أن يري فهودا صغيرة وسط هذه الجنة حقاً! وعلي الأرض امتد بساط من سندس وفوقه أطعمة وفاكهة وخمر. جلسوا جميعاً وجلست بينهم فرأيت نفسي عارياً مثلهم إلا من ورقة التوت. لكن الذي أدهشني أنا جميعاً صرنا في عمر الشباب. أكلنا حتي شعبنا وقالوا معا.

– ما رأيك. تظل معنا أم تعود الي البيت؟

قبل أن اتكلم وقفت ثلاث فتيات ورحن يصببن لنا الخمر في كؤوس من عقيق. رحت أنظر إلي عيني التي تصب لي، وهي ابتسمت وراحت تنظر إلي حتي امتلا الكأس دون ان تدري، وانسكب علي يدي وعلي البساط. انتهت وانصرفت. قمت وراءها. نسيت الجميع وهي راحت تتقدم في الأدغال حتي إذا لحقت بها قالت لي:

– من هنا طريق العودة.

قلت شاردا:

– أنا لا أذكر من أين جئت. ولا إلي أي مكان أعود.

قالت:

– أنا أعرف.

– هل ستأتين معي؟

– إذا أردت. أنت الذي جعلتني أموت، وأنت الذي تستطيع أن تعيدني

الي الحياة.

ارتبكت. وكانت جميلة بشكل لا يحتمل. قلت لها:

– هل يمكن لي البقاء معكم؟

قالت:

- إذا أردت.
- نعود إليهم وأفكر ماذا أفعل.
- عدنا إليهم. وجدتهم علي حالة من النشوة والسعادة لا يمكن تخيلها.
- ترتفع ضحكاتهم تملأ الفضاء.
- قال أحدهم:
- يمكن أن تبقي معنا لكن لن تجد شيئا تكتبه. كل الناس هنا سعداء.
- وقفت أفكر ثم قلت:
- هل كل من أكتب عنهم يأتون الي هنا؟
- طبعاً.
- هل يضايقكم أن يأتي إليكم آخرون؟
- لا. حتي الأشرار يصبحون أختياراً هنا.
- إذن دعوني أعود.
- ستصحبك أجهل من كتبت عنهم. تلك التي أبكت حكاية موتها وفراقها لزوجها وأولادها كل من قرأها.
- صحبني الفتاة التي كانت معي في الأدغال. جرت فجريت معها. ما إن دخلنا إلي الغابة حتي انتهت ووجدت نفسي في بيتي وهي معي وكل منا في كامل ملايسه. قالت في تصميم:
- لن أعود إلي هناك. أريد أن أري زوجي وولدي. أنت الذي جعلت المرض يأخذني مبكراً. أنا أحب زوجي ولا أنساه. وكما أتي دائماً معه هو أيضاً دائماً معي. وهو لا يزال يتألم وأخشي ان يلحق بي. أجل. لا بد أن أذهب إليه.

قلت في حيرة:

- صدقيني انا لا أعرف زوجك ولا مكانه.
- أنت الذي ألفت الحكاية كلها، وأنت هكذا تعرف أين أجده.
- وقفت مندهشا ورأيت دمعة علي خدها.
- لماذا حقا لم تتركني معه. أرجوك اجمع بيننا من جديد.
- لم أجد لدي طاقة علي الكلام. أخذتها من يدها ورحلت أمشي بها بين شوارع المدينة أبحث عن بيت لا أعرفه. وأعرف أنه لن تعود إلي القدرة للعودة إلي بيتي إلا إذا عادت إلي القدرة علي التأليف فأنتهي الحكاية.

أنتهت الحكايات

كتبت العام الماضي

٢٠١١ م

للمؤلف

أولاً: الروايات..

١- في كل أسبوع يوم جمعة

الدار المصرية اللبنانية الطبعة الثالثة ٢٠١٠

الدار المصرية اللبنانية الطبعة الرابعة ٢٠١١

٢- شهد القلعة الدار للنشر ٢٠٠٧

٣- عتبات البهجة دار الشروق الطبعة الثانية ٢٠٠٥

٤- بُرج العذراء دار الآداب ٢٠٠٣

٥- طيور العنبر دار الهلال طبعة اولى ٢٠٠٠

دار الشروق طبعة ثالثة ٢٠٠٩

٦- لا أحد ينام في الأسكندرية دار الهلال طبعة اولى ١٩٩٦

دار الشروق طبعة تاسعة ٢٠٠٩

٧- قناديل البحر دار سعاد الصباح الطبعة الولي ١٩٩٢

دار الشروق الطبعة الرابعة ٢٠٠٦

- ٨- البلدة الأخرى دار رياض الرئيس الطبعة الاولى ١٩٩٠
دار الشروق الطبعة الخامسة ٢٠٠٧
- ٩- بيت الياسمين دار الفكر العربي الطبعة الاولى ١٩٩٦
الطبعة الخامسة دار الشروق ٢٠٠٦
- ١٠- الصياد واليمام مجلة الكرمل عدد-١١
دار المستقبل الطبعة الولي ١٩٩٥
دار لشروق الطبعة السابعة ٢٠٠٦
- ١١- المسافات دار المستقبل العربي ١٩٨٣
دار الشروق الطبعة السادسة ٢٠٠٦
- ١٢- ليلة العشق والدم
مطبوعات القاهرة- الطبعة الاولى ١٩٨٢
دار الشروق الطبعة الرابعة ٢٠٠٦
- ١٣- في الصيف السابع والستين
دار الثقافة الجديدة الطبعة الاولى ١٩٧٩
دار الشروق الطبعة الثالثة ٢٠٠٨
- ثانياً: القصص القصيرة ..**
- مشاهد صغيرة حول سور كبير وزارة الثقافة السورية ١٩٨٢
هيئة الكتاب ١٩٩٤

٢- الشجرة والعصافير مختارات فصول هيئة الكتاب ١٩٨٥

مكتبة الاسرة ١٩٧٥

٣-إغلاق النوافذ

هيئة الكتاب - مختارات فصول ١٩٩٢

٤-فضاءات

مختارات سلسلة أصوات أدبية - الثقافة

الجماهيرية ١٩٩٢

مكتبة الاسرة ٢٠٠٣

٥- سُفن قديمة

دار ميريت للنشر ٢٠٠١

مكتبة الاسرة ٢٠٠٢

٦- ليلة انجيلا مختارات

مكتبة الاسرة ٢٠٠٣

«القصص القصيرة كلها الآن في كتاب واحد بعنوان (أشجار السراب)
بدار الشروق»

ثالثاً: كتب متنوعة ..

١- مذكرات عبد اميركي

- ترجمة عن الانجليزية . تاليف فريدريك دوجلاس . دار الشروق

٢٠٠٧

٢- ٢٤ ساعة قبل الحرب مسرحية - المجلس الاعلى للثقافة ٢٠٠١

٣- اين تذهب طيور المحيط.. أدب رحلات

مكتبة الاسرة ٢٠٠٩

٤- غواية الاسكندرية مكتبة الاسرة ٢٠٠٥

٥- ما وراء الخراب كتاب الهلال ٢٠٠٨

٦- السبت فات والحد فات بيت الياسمين ٢٠١٠

٧- لكل أرض ميلاد .. (أيام التحرير) دار أخبار اليوم ٢٠١١

رابعاً : الترجمات إلي لغات أجنبية ..

١- البلدة الاخرى.

- الي الفرنسية - دار آكت سود ١٩٩٤ - ترجمة كاترين تسييه توماس.

- الي الانجليزية ١٩٩٧ قسم النشر بالجامعة الامريكية - ترجمة فاروق عبد الوهاب.

- الي الألمانية - دار ارابش بوك - ترجمة منى النجار.

٢- لا أحد ينام في الأسكندرية

- الي الفرنسية - ٢٠٠١ - دار ديسكلييه دي بروير - ترجمة سهير فهمي.

- الي الانجليزية - قسم النشر بالجامعة المريكية ١٩٩٩ - ترجمة فاروق عبد الوهاب .

٣- بيت الياسين

- الي الفرنسية - دار آكت سود - ترجمة نشوي الأزهرى.
- الي الإيطالية ٢٠٠٦ - دار نشر جوفينس - ترجمة فرانسيسكو دي المجلس
- إلى الإنجليزية ترجمة د.ها رضوان عن دار نشر «Interlink World Fiction»

٤- طيور العنبر .

- الي الإنجليزية ٢٠٠٦ قسم النشر بالجامعة الأمريكية ترجمة فاروق عبد الوهاب

٥- المسافات

- الي الإنجليزية ٢٠٠٦ - جامعة سيراكيوز - ترجمة حسام ابو العلا

٦- عتبات البهجة

- الي الفرنسية - دار نشر فولي دونكر - ترجمة هدي فوركاد
- الي اليونانية ترجمة بيرسا باموك

الجوائز:

- ١- جائزة نجيب محفوظ من الجامعة الامريكية ١٩٩٦
 - ٢- جائزة الدولة للتفوق في الاداب ٢٠٠٤
 - ٣- جائزة الدولة التقديرية في الاداب ٢٠٠٨
 - ٤- جائزة ساويرس للرواية لكبار الكتاب.
- .. عن رواية في كل أسبوع يوم جمعة ٢٠١١

الموقع الإلكتروني : www.shorouk.com/abdelmeguid :

الأيمل : Ibrahimabdelmeguid@hotmail.com :

twitter : @ibmeguid

Facebook: ibrahimabdelmeguid

محتويات الكتاب

رسائل من الجنة.....	٥
يا عالم الأسرار.....	١١
مائدة الرحمن.....	١٧
مائدة من هواء.....	٢٣
شفشق وأبريق.....	٢٩
رجل امن الدولة الغلبان.....	٣٥
رائحة الحشيش.....	٤١
معهُ دائماً.....	٤٧
العسل.....	٥٣
تامر يؤذن.....	٥٩
بلاش تسافر.....	٦٥
دكان هوا.....	٧١
سمك وجبري.....	٧٧
رسائل العشاق.....	٨٣

شارع الملك	٨٩
ضيوف غير عادين	٩٥
صومكم مقبول	١٠١
فكر بغيرك	١٠٧
فاطر رمضان	١١٣
على الطريق	١١٩
مانشيت	١٢٥
من زمن الحب والحرب	١٣٣
مع مراعاة فروق التوقيت!!	١٣٩
أين الرئيس	١٤٥
شيزوفرينيا ولكن!!	١٥١
صورة الديكتاتور	١٥٧
سيبك منه خليك في حالك!!	١٦٣
تحيا الشيوعية!!	١٦٩
إفطار في ميدان التحرير	١٧٥
النهاية	١٨١
للمؤلف	١٨٨

ساعة الإفطار ليست مثل غيرها. هي ساعة يصفو فيها الكون
والناس لكنها أيضاً ساعة لا تنسى، فإذا حدث فيها شيء غير مألوف
يأخذ القلوب والأرواح إلى أعلى درجات الدهشة والمفاجأة. لا
الحب فيها مثل غيره، ولا الضحك، ولا الحزن، ولا اللقاء، ولا
الفراق.

هذه حكايات يرويها الكاتب الكبير إبراهيم عبد المجيد لن ينساها
القارئ في ساعة يصل فيها اليوم إلى ذروته.

إبراهيم عبد المجيد كاتب وروائي له العديد من الأعمال الأدبية
والفكرية. ترجمت أعماله لكثير من اللغات، وحاز على جوائز
عديدة.

ومن أشهر هذه الأعمال لا أحد ينام في الأسكندرية، طيور العنبر،
البلدة الأخرى، بيت الياسمين، من الذي يصنع الأزومات في مصر،
أيام التحرير، وغيرها..

هنا ثلاثون حكاية بعدد أيام الشهر الكريم.. يستخدم فيها
الكاتب لغة الحكى البسيطة التي تليق بالحكاية كفن وطريقة في حياة
الشعوب.



978-977-6402-30-0

